

جنرالات تركيا لماذا يكرهون الإسلام؟

وهل الإسلام عقبة في طريق النهضة والتقدم؟

د. عبد الرؤوف شامي



جنرالات تركيا لماذا يكرهون الإسلام؟

جميع الحقوق محفوظة للنّاشر

د . عبد الودود شلبى

جنرالات تركيا لماذا يكرهون الإسلام ؟ وهل الإسلام عقبة فى طريق النهضة والتقدم ؟



ص ب ١٧٠٧ القاهرة
الرمز البريدى ١١٥١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَفَمَن أَسَسَ بَيَانَهُ عَلَى ثِقْوَىٰ مَنَ اللّٰهِ وَوَضَوَانَ
خَيْرَ أَم مَن أَسَسَ بَيَانَهُ عَلَىٰ شَفَا حَرْفٍ عَارٍ قَاتِلًا بِهِ فِي
نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّٰهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ . . . سورة التوبة

رجل .. وموقف !

فى ساحة المحكمة .. ومُنظر جُثث خمسة عشر مشنوقاً تشاهد
من وراء قضبان التأفلة .. وجه رئيس المحكمة - إلى الإصام
المجاهد بديع الزمان سعيد النورسى - هذا السؤال :

أنت متهم بالدعوة إلى تطبيق الشريعة ، إن من يطالب بها
مُصيره الشنق كما ترى فى جُثث هؤلاء المشنوقين الخمسة عشر !!!
وهنا يصرخ - بديع الزمان - فى وجه القاضى قائلاً :

لو أن لى ألف روح سائر ددت أن أضحي بها كلها فداءً لحقيقة
واحدة من حقائق الإسلام !

إننى أقول لكم وأنا واقف أمام البرزخ الذى تسمونه السجن
فى انتظار القطار الذى يحملنى إلى الآخرة .. إننى مستعد لمراقبة
هؤلاء الذين علقوا على المشائق ؟

لقد كانت الحكومة تخاضم العقل أيام الاستبداد .. والآن فإن
هذه الحكومة تعادى الحياة ... !!!

ألا ... فليعيش الجنون وليعيش الموت

وللظالمين .. فلتعيش جهنم .. !!

بديع الزمان سعيد النورسى

مقدمة تاريخية

صبيحة اليوم الذي أكتب فيه هذا البحث كنت استمع إلى
النشرة الصباحية من هيئة الإذاعة البريطانية الـ B.B.C
وقد جاء في هذه النشرة : أن دول الاتحاد الأوروبي رفضت
انضمام تركيا إلى هذا الاتحاد ، أما لماذا ؟ فلأن تركيا دولة
مسلمة ، ولا يجوز أن تنضم دولة مسلمة إلى الاتحاد يضم دولاً
مسيحية ... !!

في الوقت نفسه ... وفي النشرة نفسها قالت الإذاعة :
إن الجيش في تركيا ضغط على رئيس الوزراء لإلغاء المدارس
القرآنية ... !! ومنع الدخول بالنزى الإسلامى إلى الدوائر الحكومية
... !! وفرض حظراً شاملاً على أى نشاط إسلامى فى تركيا ... !!

* * *

فما معنى هذا كله ؟ ..
معناه أن الإسلام يُحاصر من الداخل ومن الخارج ؟

ومعناه أن المسلمين لم يعد لهم شأن ولا قيمة في نظر العالم !
ومعناه أن (بعض) حكامنا المسلمين يتفوقون مع أعداء المسلمين
في صريع واحد ... 11

قبل عامين سافرت إلى (استانبول) التي تُعرف حاليا باسم
(استانبول) لحضور الندوة العالمية عن الإمام المجاهد (بديع الزمان
سعيد النورسي) .

وفي حفل غداء دُعينا إليه من رئيس بلدية المدينة سمعنا
عجبا .. أن رئيس البلدية الذي دعانا إلى حفل الغداء كان عضوا
في حزب (الرفاه) الإسلامي الذي حله الجنرالات ... 12

كانت مدينة (استانبول) قبل أن يتسلمها هذا الرجل أو هذا
الشاب غارقة في مشكلات عريضة استعصى حلها على جميع
رؤساء البلدية السابقين .

مشكلات في المواصلات ، ومشكلات في المرافق ومشكلات
في توفير المساكن للفقراء من أبناء الشعب . كانت (استانبول) -
أكبر وأحضر المدن - تعيش مرحلة احتضار حقيقية .

وفي ظروف عام ، بعد تولى هذا (الشاب) شؤون المدينة تغير
كل شيء ، توفرت وسائل المواصلات والنقل وتوفرت المساكن للفقراء

الباحثين عن مأوى .. وأصبحت المرافق تعمل بصورة جيدة في كل
شيء .

حتى (المياه) التي كانت شحيحة أصبحت فائضة عن الحاجة .
وهناك قصة لطيفة تحدث عن نقص المياه في هذه المدينة :
يقول رواية هذه القصة : إن رئيس البلدية دعا إلى إقامة صلاة
(الاستسقاء) في جميع المساجد . فخرجت الصحف (العلمانية)
تسخر وتندد بهذا الغباء وهذا التخلف .. !!

وكانت المفاجأة التي ألفتهم حبرا .. فقد تجمعت السحب في
سما - المدينة فجأة .. وأمطرت السماء مطرا صلا كل (الحزائات)
الفارعة !!! ..

لم يكتف الرئيس الشاب بكل هذه الإنجازات فقد خطا خطوات
أخرى كان لها وقع الصاعقة فقد أغلق نواحي القمار والخمر .
وذهب إلى زعيمة (الداعرات) في المدينة - وهي أرميتية الأصل -
يعرض عليها وعلى ضحاياها (التوبة) ويعددهم بتوفير حياة كريمة
لأنفة بعيدة عن الفجور والدعارة !

وعادت الصحف (العلمانية) تدق طبول الحرب ضد هذه
(المصيبة القومية) . كيف يجرؤ رئيس البلدية على إغلاق

(أوكار الدعاية) وكيف يقضى على (بؤر الفساد) التى توفّر
للحكومة عشرة مليارات كل سنة !!!

فماذا حدث بعد ذلك لهذا الشاب التقى الصالح ؟
فى (عموده) اليومى بصحيفة الأهرام كتب الأستاذ (أحمد
بهجت) يقول : كنا نتهباً لمقادرة اسطنبول ، وكانت طائرتنا
تتحرك الساعة التاسعة مساءً ولما كان المفترض أن يصل المسافرون
إلى المطار قبل ساعتين من حركة الطائرة ، فبهذا كان يعنى بالنسبة
لنا عدة ساعات نقضيها فى السياحة ومشاهدة معالم المدينة .
ونحن نقف فى مصر بأن القاهرة هى مدينة الألف متدنة . .
وأن فيها ألف مسجد إلى جوار الكنائس ، أما اسطنبول فهى
مدينة تضم ثلاثة آلاف مسجد إلى جوار الكنائس الشهيرة . .
واسطنبول مدينة تشبه كتاباً مفتوحاً من كتب التاريخ .

إن كل ركن فيها وكل بنا . يحمل أثراً من آثار التاريخ .
مضينا نضرب فى طرقات المدينة ثم أحسبنا حين أقبلت
الظهيرة أن هناك شيئاً غير عادى قد وقع . . لقد بدأ المرور ينحرف
إلى اليمين وضاعت سبلة الحركة فى شوارع المدينة . .
وبدأنا نتبع الخبر . . كان الخبر من أعجب ما سمعنا فى

حياتنا الصحفية على كثرة ما شاهدنا وسمعنا من عجائب .
قيل لنا إن حركة المرور أبطأت وأصابها ما يشبه الشلل بسبب
مظاهرة هائلة تتكون من مائة ألف مواطن تركي اجتمعوا في
الساحات والميادين والشوارع ابتداءً من مسجد الفاتح إلى مسجد
بايازيد وسط اسطنبول .

سألنا : لماذا احتشدت المظاهرة ؟

قالوا : احتشدت المظاهرة احتجاجاً على قرار المحكمة
الدستورية العليا بتأكيد حبس عمدة اسطنبول ورئيس بلدياتها
(رجب طيب أردوغان) .

سألنا :

ما هي الجريمة التي كانت سبباً في الحكم عليه بالحبس ؟

قالوا : هي جريمة خطيرة خطيرة .. لقد قرأ منذ ثمانية أشهر
وهو يخطب في الجماهير بيتاً من الشعر كتبه الشاعر التركي
محمد عاكف ، وهو شاعر كانت له اتجاهات إسلامية ، وهو يقول
في قصيدته :

المساجد ثكنات المؤمنين ، وقبايها خوذاتهم ، أما مآذنها فهي
رماحهم .

بسبب بيت واحد من الشعر حُكِمَ بالحبس على رجل له تقديره واحترامه في الشارع السياسي التركي ، وقد اتهم بأنه يعمل على تقويض الأنس العلمية للدولة التركية وإقامة نظام إسلامي .. هذه هي الجريمة التي دخل بها الشعر إلى السجن !

فلماذا كل هذه الكراهية للإسلام ، ولماذا يقف جنرالات تركيا من الإسلام موقف البغض والعداء .. ؟

لنعد قليلاً إلى الوراء .. إلى السبب الحقيقي لهذه الكراهية وهذا العداء .. وبعبارة أكثر - دقة ووضوحاً - إلى هذا المستنقع الذي انتشر منه هذا الرعب وهذا البلاء ... !!!

(.....) لقد بلغ الإسلام في بداية القرن التاسع عشر نهاية جزره في القوتين : المادية والمعنوية ، لأنه تلقى عن القرون السابقة أثقالاً من المتاعب لم تمسح أمة من قبله بمثلها ، ولا نعرف من المؤرخين من يستغرب مصاب الإسلام بعد ما تلقاه من الضربات منذ القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر ...

وإنما الغريب عندهم هو تلك القوة المشيعة التي صابر بها الكوارث والشدائد زهاء تسعة قرون ولم يزل بعدها وحدة إنسانية هائلة تتخذ مكانها بين هيئات الأمم ..

ضربات لم تصمد لمثلها دولة من الدول الجامعة ، أو الدول التي
سُميت بالإمبراطوريات في العصرين القديم والحديث .
(وقد رأينا ^(١) كشيء من المؤرخين يوازنون بين أخطار هذه
الضربات ويجعلون الحروب الصليبية في مقدمتها من هذه الحركات
والإغارات ، أو يجعلونها فاتحة الضربات يتلوها ما تعاقبها من
الأخطار والأخطاء) .

وهذه الحروب من غير شك كانت من أعظم الأخطار التي
امتحن بها الأمة الإسلامية . لكنها من غير شك أوقفت عوامل
الشقاق بين الأمم الإسلامية ردحا من الزمن ... وكان صلاح الدين
الأيوبي بطل هذه الحروب غير مدافع في نظر الدول الأوروبية ، ونظر
الشرقيين على السواء ... فهو الرجل الذي هيأته العناية الإلهية
لهذه المهمة العظيمة وجمع فيه من خصال الحزم والعزم والإخلاص
والحرص على الجهاد ، والتفاني في سبيله ، وعلو الهمة في نصر
الإسلام ، وحسن القيادة وقوة التنظيم ، والصلاح والديانة ،
ومكارم الأخلاق ما لا يجتمع إلا في أفذاذ الرجال في العالم . وقد
توحد العالم الإسلامي من بين نهر الفرات ونهر النيل للمرة الأولى

(١) عباسي محمود العقاد «الإسلام في القرن العشرين» ص ٤٠ .

- بعد مدة طويلة - تحت قيادته ، واجتمع تحت لوائه أجناس كثيرة من المسلمين لم تجتمع من قبل (١) .
 إلا أن هذا الرجل الحليم الرصين ثارت ثائثرته وجن جنونه حين سمع بعزم أرنولد (Arnold) صاحب (الكرك) على فتح الحجاز ، وإعداد العدة في البر والبحر لاقتحام المدينة المنورة وهدم المسجد النبوي .. ! فأقسم صلاح الدين ليقتلن هذا الرجل بيده إن مكنته الله منه .

فكانت موقعة (حطين) (٢) التي تعد من المواقع الحاسمة في تاريخ الإسلام . وظفر صلاح الدين بشروعة من الملوك والأمراء ... وعفا عنهم جميعا إلا أرنولد هذا .. فإنه لم يقبل فيه شفاعاة من أحد ... وتناول سيفه وضرب به عنقه بيده وهو يقول : برئت من شفاعاة محمد إن قبلت في هذا الأحقق شفاعاة شفيع (٣) ... !
 وقد مات صلاح الدين بعد ما قضى مهنته إلى حد بعيد ...
 وتراجع سبل الصليبيين بعد أن تعلموا دروساً جديدة مفيدة ..

(١) ماذا حصر العالم بالخطا المسلمين - أبو الحسن الندوي ص ١٥٣ .

(٢) قرية في فلسطين رعتها كانت المعركة الشهيرة بين صلاح الدين الأيوبي والصليبيين سنة ١١٨٧ م .

(٣) الإسلام في القرن العشرين ص ٤١ .

درسوا جوانب الضعف والقوة في الجبهتين .. الجبهة الإسلامية ..
 والجبهة الصليبية ، وعاد المسلمون سيرتهم الأولى من انقسام
 وتنافس وغفلة ، ولم تزل قوتهم تضعف وتهدون أن يشعر بذلك
 أحد ، حتى كانت الإغارة التتيرية التي تركت خلفها الدمار والحراب
 وكشفت للمسلمين وللعالم الخارجي - وبخاصة الصليبي - حقيقة
 أنفسهم وضعفهم ويعد أن اجتاحت بغداد زال ذلك الشبح وسقط
 (المجدار) ٣١ قعالت الطيور والوحوش في الحقل وتجاسر الناس
 على المسلمين ويلادهم ..

في ذلك الحين ، ظهر الترك العثمانيون على مسرح التاريخ ،
 وفتح محمد الثاني مدينة (القسطنطينية) في سنة ٨٥٧
 هـ - ١٤٥٣ م ..

فتجدد بهذا الفتح رجاء الإسلام ، وانبعث الأمل في المسلمين ،
 وكان فتح مدينة (القسطنطينية) دليلاً على قوة الأتراك الحربية ،
 وحسن قيادتهم العسكرية .

كان عمده (محمد الفاتح) في ذلك الوقت أربعاً وعشرين
 سنة !! ..

(١) ما ينصب في الزرع لظفر الطير والوحش ، ويعرف في مصر بـ « خبال المانة » ..

ويقول البارون كارادفو (Baron Carrdevauy) :

إن هذا الفتح لم يقبض لمحمد الفاتح اتفاقاً ، ولا تيسر لمجرد ضعف دولة (بيزنطة) بل كان هذا السلطان يدير التدابير اللازمة له من قبل ، ويستخدم كل ما كان في عصره من قوة العلم ، فقد كانت المدافع حينئذ حديثة العهد ، فعمل على تركيب أضخم المدافع التي يمكن تركيبها يومئذ ، وانتدب مهندساً صورياً ركب مدفعاً كان وزن الكرة - القذيفة - التي يرمى بها ثلاثمائة كيلو جرام ، وكان مدى مرماه أكثر من ميل ، وقيل إنه كان يلزم هذا المدفع سبعمائة رجل ليتسكنوا من سحبه ، وكان يلزم له ساعتان لحشوه ، ولما ذهب محمد الفاتح لفتح القسطنطينية كان تحت قيادته ثلاثمائة ألف مقاتل ، ومائة وعشرون سفينة حربية (١١) ...

ولكن كان من سوء حظ الأتراك والمسلمين معاً أنهم أخذوا في الانحطاط والتدنى ، ودب فيهم داء الأمم من قبلهم من البغضاء والشحاسد واستبداد الملوك وجورهم ، وسوء تربيتهم ، وفساد أخلاقهم ، وخيانة الولاة والأشراء ، وغشهم الأمة وإخلاد الشعب إلى الراحة والدعة ، وتفشى الجهل والخرافة وانقطع ما بين

(١١) حاضر العالم الإسلامي ج ١ .

المسلمين وعلومهم الأولى ، فتندر فيهم من كان يتعلم النافع منها كالفقه واللغة والأدب والرياضة ، وانقطع ما بينهم وبين العلوم العصرية ، فتظر الكثيرون منهم إلى علوم الجغرافيا ، والطبيعة ، والكيسيا ، كأنها الكفر البواح ، أو السحر المزيغ ، فاصطيغ فهمهم للدين بصيغة الجهل والتخريف ، وطلبوا الخلاص من غير بابه ، وتوسلوا للعسل بغير أسبابه ، واتهموا الناصحين ، وأرسلوا قاداتهم للدجالين والمحتالين ، وفي هذه الفترة كان الإسلام كما يفهم الجهلاء مزيجاً من الخرافة والشعوذة ، ومن الطلاسم والأوهام ، وعن الوثنية وعبادة الموتى وكان طلاب الفتوى - من مشارق الأرض ومغاربها - يسألون عن الكبريت هل يجوز منه ؟!

وهل يجوز قدح النار منه ؟ أو طبخ الطعام على ناره ؟ أو يأثم من يمس صنفرتة ، لأنه مادة نجسة تنقض الطهارة . (١١) ... !

ومع كل هذه العلل .. فقد كانت الامبراطورية العثمانية قلعة للإسلام ولم تكن هذه القلعة تنهار ، ويصيبها الوهن والضعف ، حتى فتتح الباب على مصراعيه أمام الغرب ، وانطلق البخار المسموم من مراجل الحقد ليدمر كل من يقف في طريقه إلى الشرق!

(١١) الإسلام في القرن العشرين ص ٤٣ ..

(وقد كان القرن التاسع عشر ولا ريب أسوأ من كل القرون
التي تقدمته لأنه القرن الذي اتبعت فيه (المسألة الشرقية) (١)
من بقايا الحروب الصليبية .. وكانت المسألة الشرقية تمخضت عن
دور آخر وراء دور الحروب الصليبية وهو دور التفاهم بين دول
الاستعمار على تركة (الرجل المريض) (٢) ..

وتبادل الإغضاء عن كل طرف مستطع عليه يقع في قبضة
الطامعين فيه من المتنازعين على الشركة وصاحبها على قيد الحياة
.... (٣)

إن القلب ليمثل: رعباً وهو يطالع تفاصيل هذه المؤامرة التي
حيكت لتقسيم العالم الإسلامي وابتزازه ، والعمل على تدميره
وتحطيمه ، وقد ذكر لنا المرحوم شكيب أرسلان مائة مشروع
وضعت لتقسيم دولة الخلافة ، وفي هذا الحوار بين القبطر نيقولا
إمبراطور روسيا ، والسير هاميلتون سيموز ستير بريطاني تتضح

(١) كانت المسألة الشرقية تعنى في أول الأمر تخليص الممالك المسيحية من أيدي
الدولة العثمانية وفي مرحلة ثانية أصبحت تعنى تقسيم الدولة العثمانية والدول
الإسلامية التابعة لها بين الدول الأوروبية .

(٢) اصطلاح أطلقته الدول الأوروبية على الإمبراطورية العثمانية في مرحلتها الأخيرة .

(٣) عباس العقاد - محمد عابد عن - ١٠ ..

أبعاد هذه المؤامرة الخطيرة ، وكيفية التدبير أو التفكير تجاه العالم الإسلامي وتدبيره (١) .

(... فبقى ليلة سمر عند الغراندوق (هيالنة) الروسية - ٩

يناير ١٨٥٣م قال الإمبراطور نيقولا للسير هاملتون :

" تأمل . نحن بين أيدينا رجل مريض ... ومريض جدا ، ويكون

بالفعل ويلاً عظيماً علينا إن خرج أمره من أيدينا ! " .

وفي مرة ثانية دعى السفير هاملتون لمقابلة القيصر فقال له

أيضاً :

" أنت لا تجهل المقاصد والمرامي التي لا تزال في روسيا منذ

عهد كاترينا ... وتركيا هي كما قلت لك - من قبل - رجل

مريض ، ويجوز أن تموت بالرغم منا ، فبقى عبثاً علينا ، وليس

في استطاعتنا نشر الموتى ! " ...

(أفلا يكون من الأفضل بحقنا - تفاديا لحروب أوروبية - أن

نتفق من قبل على أمرها حتى لا نؤخذ على غرة ! وإني أقول لك

بصراحة .. إننا إن استطعنا أنا وإنجلترا أن نتفق في هذا الموضوع

لم يهتأ الآخرون ... وأنا لا أكتفك أنه إن كان في نية إنجلترا

(١) حاضر العالم الإسلامي ج ٣ ص ٣٠٧ - ٣٠٨ .

الاستيلاء على الآستانة فلن أتحمّل ذلك . لا أقول إن لكم هذه
النبة ، ولكن أقول إن صحت هذه النبة فلن أكون راضيا ، وأنا
نفسى أتعهد أيضا بأن لا احتلها مالكا ... أما بصورة مؤقتة
على سبيل الاستيداع فقد أَرْضَى ... !!!

وإما إذا بقيت الأمور بدون قرار بشأنها ، فقد يجوز أنى
أحتلها قولا واحدا .. !!!) .

فأجاب السير هاملتون :

(ليسمح لى جلالتك بالقول إنه ليس عندنا أدنى سبب للظن
بأن المريض هو على وشك الهلاك !)
فرد القيصّر فى حدة قائلاً :

(إذا كان عند حكومتك أمل بأن تركيا لا تزال فيها عناصر
الحياة فتكون المعلومات التى لديها غير صحيحة ... وأنا أؤكد
لك أن المريض هو فى حالة الاحتضار وأنه لا يجوز أن يموت ونحن
عنه غافلون .. بل يجب أن نتفق .. ولست أكلّفكم عقد معاهدة
.. أو تحرير صك .. وإنما أطلب كلمة اتفاق عامة ، وهذا مكان
قيما بين الرجال الأكياس !!!) .

ثم يحدث فى التاريخ ، وفى أشدّ عصوره هنجية أن تأمر

رئيس دولة على دولة مجاورة ، والعمل على تدميرها بهذه الطريقة
التي كان يفكر بها قبصر روسيا ، ولم يحدث في أظلم عصور
التاريخ ، وأشدّها همجية ووحشية أن حكم رئيس دولة على دولة
أخرى بالموت ، وحدد ساعة موتها بهذه الطريقة ، ولم يحدث ولن
يحدث في المستقبل كما نظن ، ولكن الأحقاد التي تشعبت جذورها
في العقل الأوروبي وغارت في أعماق مشاعره وإحساسه هي التي
كانت تخطط لهذا العمل الهسجي ، وتنظم هذا الهجوم الوحشي
... وتتفق على توزيع التركة قبل التنفيذ العملي

وسواء أكان موقف السفير الإنجليزي تعبيرا عن موقف حكومته
أم لم يكن فإن الواقع ينفي كل اعتبار لحسن النية ، واعتقادنا هو:
أن بريطانيا لم تشأ أن تشرك روسيا معها في اقتسام الغنيمة .
لقد بدأ الهجوم على العالم الإسلامي في كل أقطاره ، وأحاطت
به الجيوش والأساطيل في عقر داره ، دمرت بريطانيا ممالك الإسلام
في الهند ، وسيطرت على الخليج ، واحتلت في طريقها عدن ،
وآبحرت أساطيلها شرقا وغربا ، فلم تدع جزيرة في بحر أو مدينة
على ساحل .

وانطلقت فرنسا من وراء بريطانيا ، فاحتلت الجزائر والمغرب

وتونس .

وذهبت إيطاليا إلى الصومال وإريتريا ، وسيطرت هولندا على
جزر الهند الشرقية بأكملها ، وأحيط بممالك الإسلام وسلطنته في
شرق وغرب إفريقيا وأخيرا وقعت مصر والسودان في قبضة
بريطانيا ...

لقد سقط (المجدار) ومشت سكة الأجنبي في حقل الإسلام ،
وتداعت الأمم على المسلمين كما تنبأ النبي ﷺ قبل ذلك بأكثر من
ألف وأربعمائة عام ١١١ ...

كانت النازلة شديدة ، والكارثة كبيرة ، والمعركة ضد الإسلام
والمسلمين ضاربة عنيفة ، كانت هذه الأيام والسنوات كما يقول
المؤرخ الجبرتي :

(... أول سنَى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع
النازلة ، والنوازل الهائلة ، توالى المحن ، واختلال الزمن ،
وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتشايح الأهوال ، واختلاف

(١١) في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال - "يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما
تداعى الأكلة على قصعتها" .. الحديث رواه أبو داود والبيهقي في دلائل النبوة .
أنظر : مشكاة المصابيح ج ٢ طبعة المكتب الإسلامي ١٣٨١ هـ .

الأحوال ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب ، وما كان ربك ليهلك
القرى بظلم وأهلها مصلحون) (١٦) .

ولقد لعبت (اليهودية العالمية) دورا رئيسيا فى إسقاط دولة
الخلافة ، وهو دور يرجع إلى أسباب كثيرة .
من أهمها وقوف هذه الدولة فى وجه مظالم اليهود الذين
كانوا يخططون لاستلاب فلسطين منذ قرون عديدة .

فقد تطلع اليهود على مر العصور التاريخية إلى فلسطين
كإقليم يجمع شتاتهم (١٧) وينشئون فيه دولة . وكانت أصواتهم
تعلو حينما وتخفت حينما آخر تبعا للملايسات التى أحاطت بهم ،
وتبعا لظروف الدولة التى كانت تمارس سيادة فعلية على فلسطين ،
ولكن لوحظ أن أصواتهم ازدادت ارتفاعا بل ضجيجا وعلى فترات
منتقاربة منذ الثمانينات فى القرن التاسع عشر ، وتنادوا إلى
تهجير اليهود المشتتين فى أنحاء العالم إلى فلسطين وإنقاذهم من
الاضطهاد الذى يتعرضون له فى المجتمعات التى يعيشون فيها ،

(١٦) عجائب الآثار للجبرتي - ط . دار الشعب بالقاهرة .

(١٧) الدولة العثمانية دولة إسلامية مقترى عليها - د . عبد العزيز الشاوى ص ٩٧٣

وما بعدها .

وطالبوا بإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، وأطلقوا على حركتهم اسم الحركة الصهيونية نسبة إلى صهيون وهو جبل يقع على مشارف الجنوبية لمدينة القدس القديمة تأكيداً لإصرارهم على إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين ، وشقت هذه الحركة طريقها بما توفر لها من قيادات سياسية على أعلى المستويات العلمية ، ووسائل الدعاية والإعلام ، والتنظيم الدقيق ، والتمويل الرتيب وما إلى ذلك من عناصر القوة ، وأنشأت الحركة منظمات أو أجهزة صهيونية تنولى اتخاذ الخطوات التي تؤدي في النهاية إلى تحقيق هدفها المنشود ، ونجحت في استقطاب الدول الكبرى إليها عطفاً وتأبيداً وبذلاً ، ولئن كانت فلسطين تعتبر في نظر اليهود أرض الميعاد تشدهم دينياً إليها ، فقد أصبحت أيضاً أرض الخلاص تجذبهم سياسياً إليها يقيمون فيها دولة يتقربون في ظلالها الأمن بعيداً عن الاضطهادات الدينية وتعيد إليهم مجداً سياسياً تألق في فترة قصيرة صوغلة في القدم ثم ذوى أعصاراً ودهوراً وعاشوا على ذكرياته يبيكون ويتأبكون ...

وكان على الدولة صاحبة السيادة وقتذاك على فلسطين ، وهي الدولة العثمانية أن تخوض دفاعاً عن فلسطين صراعاً سياسياً

مربرا ضد القوى الصهيونية والدول المناصرة لها . ونجح
الصهيونيون في توقيت حركتهم نجاحا باهرا ، فاختاروا فترة
عصيبة من فترات الاضمحلال التي كانت تمر بها الدولة العثمانية
واتضح للمراقبين السياسيين في ذلك الوقت مدى التدهور الذي
أصابها في مواجهة الزحف الاستعماري الأوروبي على ممتلكاتها
بحيث أصبح سقوطها وشيكا ، فلم يعد للدولة الوزن السياسي أو
الثقل العسكري الذي كانت تتمتع به على عهد سلاطين الفترة
الأولى ، ولذلك فلم يكن في مقدورها أن تخوض بنجاح صراعا
سياسيا رهيبا ضد الصهيونية والدول الأوروبية فعملت في حدود
إمكاناتها على الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

كان السلطان عبد الحميد قد عرف خطة الصهيونية العالمية في
الاستيلاء على بيت المقدس وإقامة هيكل سليمان نتيجة المخططات
التي كان يجري تنفيذها في الامبراطورية العثمانية تحت ستار
التنظيمات الماسونية التي نشرتها قوى اليهودية في مختلف أنحاء
بلاد الخلافة ، وكانت ركيزتهم الأساسية هي جماعة الدوثة في
سالونيك ، هؤلاء اليهود الذين كانوا قد هاجروا من الأندلس بعد
سقوطها في يد الفرنجة وانتهوا ، الحكم الإسلامي فيها فقد قصدوا

إلى تركيا ليستظلوا بظل المسلمين بها ، وفي سالونيك كانت
خطتهم لإقامة المحافل الماسونية واستقطاب الاتحاديين لخدمة
أهدافهم . حتى استطاعوا إسقاط السلطان عبد الحميد حين عجزوا
عن إغرائه أو احتوائه وكان للاتحاديين ١١ دورهم الخطير في هذه
المؤامرة .

كان هرتزل قد حاول إغراء السلطان ليمسح لهم بالهجرة إلى
فلسطين ورفض العروضي التي قدمت له فوضعهم أمام قرار
التخلص منه : وقد وضع هذا في مذكرات هرتزل ، كما أشار إليه
السلطان في الوثيقة المعروفة التي نُشرت أخيرا :

(إنني كأمانة في ذمة التاريخ لم أتخل عن الخلافة الإسلامية
لسبب مما سوى إنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد
والترقي المعروفة باسم (جون ترك) وتهديدتهم اضطرت وأجبرت
على ترك الخلافة . إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا بأن أصادق على
تأسيس وطن قومي لليهود في الأراضي المقدسة ورغم إصرارهم
فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيرا وعدوا بتقديم مائة

(١١) الاتحاديون اسم يطلق على بعض الأتراك الذين يرون الرابطة القومية أهم من
الرابطة الإسلامية ..

وخمسين مليون ليرة ذهبية إنجليزية فرفضت هذا التكليف بصورة
قطعية أيضا ، وأجبتهم بالجواب القطعي :

إنه لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فلن أقبل تكليفكم ، لقد خدست
الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فكيف
أسود صحائف المسلمين آباءى وأجدادى من السلاطين والخلفاء
العثمانيين ، لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي -

وبعد جوابى اتفقوا على خلعي لقبيل التكليف وحسدت المولى
أننى لم ألتطخ وجه الدولة العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار
الأبدي) !!!

وهكذا دفع السلطان عبد الحميد ثمن موقفه الحاسم من
الصهيونية العالمية وكان للنفوذ الأجنبي مشاركة ضخمة فى هذا
الأمـر ، ذلك لأن اللواء الذى رفعه تحت اسم (الجامعة الإسلامية) :
خارج نطاق الدولة العثمانية : يامسلمى العالم اتحدوا قد هز
الدوائر الاستعمارية هذا شديدا ومن ثم كانت المؤامرة ذات شقين :
(١) إسقاط السلطان عبد الحميد : وهذه كانت مهمة
الاتحاديين -

(٢) إسقاط الخلافة العثمانية : وهذه مهمة الكماليين (١١) .

ولم يكن الكماليون والاتحاديون إلا فرع دوحه واحدة : تقاسمت العمل على مرحلتين للإجهاز على الدولة العثمانية والخلافة وفتح الطريق أمام الصهيونية العالمية لتصل إلى فلسطين ، ولتمزق العرب والترك ولتتمكن للاستعمار البريطاني والفرنسي من اقتسام تركة كان يطلق عليها (اسم الرجل المريض) ...

وقد كان السلطان عبد الحميد يعرف دخائل هذا المخطط كله : بفروعه وخلفياته ، فيما يتصل (بالدوغة) والمحافل الماسونية ومخططات الاتحاديين (تركيا الفتاة) وفي مقدمتهم مدحت وأحمد رضا . ويعرف الأهداف الخطيرة التي يدور حولها تأمر الصهيونية مع بريطانيا وغيرها من دول أوروبا ، ولكنه بعد كل هذه الوساطات التي يذللها هرتزل أرسل إليه كلمته الواضحة الحاسمة الصريحة : انصحوا الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة في هذا الموضوع .

إننى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض قسبي
ليست ملك يئس بل هى ملك شعبي .

(١١) كمال أتاتورك وأتباعه .

لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه فليحفظ
اليهود بملايينهم ، إذا مزقت إمبراطوريتي فلعلهم يستطيعون
آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك
التمزيق أولاً في جثتنا ، وإنني لا أستطيع الموافقة على تشريح
أجسادنا ونحن على قيد الحياة ...!!!

في المركز الإسلامي في لندن عندما سافرت إلى بريطانيا في
أول مرحلة من مراحل البحث للحصول على درجة الدكتوراه ،
التقيت بأحد أولاد السلطان عبد الحميد الذي كان يقيم لأجنا في
بريطانيا ...

سألته عن أبعاد الحركة التي أطاحت بوالده من سدة الخلافة
والحكم ؟ ... فأجاب - بينما كان يسترجع ذكريات هذه الأيام
العصيبة - قائلاً : هناك سببان رئيسيان لهذه الأحداث الأليمة :
أولهما : موقف والدي من الحركة الصهيونية ورفضه رفضاً
باتاً بالسماح للهجرة اليهودية إلى فلسطين ...

وأما ثانيهما :- فلأن والدي حاول في سنوات حكمه الأخيرة
إحياء الوحدة الإسلامية للوقوف صفاً واحداً في وجه المؤامرات
التي كان يحيكها الغرب ضد الخلافة التي كانت تمثل - في ذلك

الوقت - راية يتجمع حولها المسلمون في الشرق والغرب .
وأضاف قائلاً : إن والدي لم يكن بهذه الصورة البشعة التي
تصوره بها دوائر الغرب ومن ورائها الصهيونية العالمية ، لقد كان
مسليماً قوياً الإيمان والعقيدة .

كما كان في حياته (الخاصة) (صوفياً) يحرص على قراءة
(أوراده في كل ليلة) ... ولن نجد أصدق من هذه (الوثيقة) التي
بعث بها السلطان من متفاه إلى شيخ الطريقة الشاذلية تقول هذه
الوثيقة : (الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على
سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم
الدين .

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية ، إلى
مفيض الروح والحياة ، إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي
أبي الشامات ، وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة !!!
بعد تقديم احترامى ، أعرض أنى تلقيت كتابكم المؤرخ ٢٢
مارس في السنة الحالية وحسدت المولى وشكرته أنكم بصحة
وسلامة دائمتين .

سيدي ، إنى بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد

التأذلية ليلا ونهارا وأعرض أننى مازلت محتاجا لدعواتكم
القلبية بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم ، وإلى أمثالكم أصحاب
السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كإمانة فى ذمة
التاريخ .

إننى لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما ، سوى أننى -
بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون
تورك) وتهديدهم اضطرت وأجبرت على ترك الخلافة .

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا على أن أصادق على تأسيس
وطن قوسى لليهود فى الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم
فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف .

وأخيرا وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة
إنكليزية ذهباً . فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا ،
وأجبتهم بهذا الجواب القطعى الآتى :-

(إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلا عن (١٥٠) مائة
 وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً قلن أقبل بشكليفكم هذا بوجه
قطعى . لقد خدمت الأمة الإسلامية والأمة المحمدية ، ما يزيد عن

ثلاثين سنة ، فلم أسود صحائف المسلمين أبائى وأجدادى والخلفاء
 العثمانيين ، لهذا لن أقبل بشكلكم بوجه قطعى أيضاً) .
 وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى ، وأبلغونى أنهم
 سيعيدوننى إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير .
 هذا وحسدت المولى وأحمدته أننى لم أقبل بأن أطلع الدولة
 العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشئ عن تكليفهم
 بإقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة (فلسطين) .
 وقد كان ذلك ماكان . ولذا فإننى أكرر الحمد والشاء على الله
 المتعال .

وأعتقد أن ماعرضته كاف فى هذا الموضوع المهم ، وبه أختتم
 رسالتى هذه أثم يديكم المباركتين وأرجو وأسترحم أن تتفضلوا
 بقبول احترامى وسلامى إلى جميع الإخوان والأصدقاء .
 يا أستاذى المعظم ، لقد أطلت عليكم البحث ، ولكن دفعنى
 لهذه الإطالة أن أحيط سماحتكم علما ، وتحيط جماعتكم بذلك
 علما ... والسلام عليكم وبرحمة الله وبركاته

خادم المسلمين
 عبدا الحميد عبدا المجيد

(كان أصحاب العقول المحركة لحركة الانقلاب والترقي عام ١٩٠٨ كانوا يهودا من الدوغة ^(١) أما المساعدات المالية فإنما كانت تصلهم عن طريق الدوغة ويهود سالونيك ^(٢) المولدين . وتقول صحيفة المشرق) .

(بأن الكل يعلم أن مركز الانقلاب إنما كان في سالونيك واليهود فيها نيث وسبعون ألفا) وهناك معلومات تؤكد أن الحقيقة الظاهرة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير إسلامية وغير تركية فسنذكر نسايتها لم يظهر بين قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركي خالص ...

كان (جاويد) يهوديا من الدوغة وقارصوه من اليهود الأسبان وكذلك طلعت بلغاريا أما أحمد رضا فقد كان نصفه شركسيا والنصف الآخر مجريا . أما نسيم روسو ونسيم مازلياح فقد كانا يهوديين .. ويقول :-

ويبرز دور اليهود ثانية في حادثة خلع السلطان عبد الحميد الثاني عندما مارس الاتحاديون الضغوط على مفتي الإسلام محمد

(١) الدوغة معناها : المرتد عن اليهودية ظاهراً والمرتد عن الإسلام باطناً .

(٢) سالونيك : تقع حالياً في بلاد اليونان .

ضيا ، الدين بإصدار فتوى الخلع ثم أوفدوا هيئة مكونة من عارف
حكمت وأسعد طويتاني وغالب باشا ومن زعماء اليهود قراصوه
رئيس المحفل الماسوني في سالونيك وشلمسون ابران ووصلوا إلى
يلدرز لإبلاغ السلطان نبأ الخلع .

وكانت مشاعر التأثير والانزعاج باذية عليه فقال يغضب :

ماهو عمل هذا اليهودي . (يقصد قراصوه) في مقام الخلافة .

بأى قصد جئتم بهذا الرجل أصامى . ويذكر النقيب التركي
(دبيرلي) بأن السلطان عبد الحميد حدثه عندما كان مسجوناً في
سلاتيك عن آخر اجتماع له مع الزعيم الصهيوني هرتزل ورئيس
الخاصات في تركيا فقال :

تصور أن هذين اليهوديين مثلاً أصامى لبقدما إلى سلطتنا
رشوة ، صرخت في وجههما قائلاً :

أن اخرجوا من هنا ، إن الوطن لا يباع بالنقود . طلبت إلى رجال
القصر أن ينفذوهما حالاً إلى خارج القصر . وبعد ذلك أصبح
اليهود أعدائي فما ألقيه هنا في سلاتيك من عذاب الاعتقال
ليس سوى جزائي منهم حيث لم أرض أن أقطع لهم أرضاً لدولتهم
المزعومة) ...

ويذكر السلطان نفسه في وثيقة علي قدر من الأهمية موقوف
الاتحاديين والصهيونية من سياسته .

فيقول : إن هؤلاء الاتحاديين أصروا على أن أصادق على
تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة - فلسطين -
ووعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهباً فرفضت هذا
التكليف بصورة قطعية وبعد جوابي القطعي اتفقوا على خلعي
وأبلغوني أنهم سيعيدونني إلى سالونيك .

(...والآن لتبدأ القصة من أولها (١)) :

ففي عام (١٦٦٥م) ادعى خاخام في (أزمير) يدعى (شبتاي
زيقي) أنه المسيح ابن الله ، بعثه ليهود العالم مرشداً ومنقذاً ،
وكان أول بيان له كما يلي : (من ابن الله الولد الأول والوحيد له
(شبتاي زيقي) المسيح والمنقذ الإسرائيلي ، إلى بني إسرائيل
السلام . لما كان لكم شرف المعاصرة لخلاص بني إسرائيل ،
ولتحقق ما أخبر به الأنبياء ، والآباء ، تحولت آلامكم إلى مسرات
وصيائكم إلى التنعم بالملذات . يا بني إسرائيل ، لن يكون لكم

(١) : محمد طه الحامس - مجلة العربي - العدد ٤٧٣ ..

بعد اليوم بكاء ، وقد منحكم الله قوة للتأسي بصعب التعبير عنها
حافظوا على عبادتكم التي اعتدتم عليها من قبل ماعدا يوم الحزن
والحداد فإنه - تكريرا لقدومي - يشحول إلى يوم شكر ومصرة لا
تحشوا شيئا أبدا فان حاكميتكم ستشمل جميع الشعوب وستكون
على الكائنات الحية كلها ، سواء التي على وجه الأرض أو التي
في أعماق البحار .

وتنتشر دعوته ، ويكثر أتباعه ، ويشاع الكثير عن معجزاته ،
وأهمها أنه لا تخترق جسمه السهام ولا تعمل فيه السيوف
والحراب . وتصل أخباره إلى الآستانة ، ويرى فيه رجال الدولة
العثمانية نشاطا هداما يسم العقول الساذجة ، فيأمر السلطان
العثماني في ذلك العهد (محمد الرابع) بإحضاره إلى القصر في
جلسة خاصة حضرها السلطان نفسه والصدر الأعظم (أحمد باشا
الكوبرلي) ونخبة من رجال الدولة ، وأخبروه أنه تأكيذا لصدق
دعوته سيعرضون جسده لوابل من السهام من ثمانية من أشهر
الرماة ، وكما كان متوقعا ارتعد الرجل من رأسه إلى قدميه ،
وحاول أن ينكر كل شيء ، ولكن القرأتين كانت دافعة ، حينئذ
خطرت له فكرة شيطانية بلجأ فيها إلى خديعة ينجو بها برأسه

وينقذ حياته لاختراق الأمة التركية وتضليلها فأخذ يتوسل إلى السلطان ويعدده إن عفا عنه أنه سيعتق الإسلام ، وسيكون من دعاة المخلصين ، وربما كان ذلك سببا في هداية اليهود إلى الإسلام ، وهكذا أشهر الرجل إسلامه وسبى نفسه (محمدا) وليس الجبة والعمامة ، وعين له راتب شهري وخصص له جناح في القصر درءا للفساد ، ولكيلا يختلط بالناس ويعود سيرته الأولى .

ويذكر المؤرخون أن إسلامه كان نكبة على الدولة الإسلامية والمسلمين بقدر ما كان انتصارا لليهودية العالمية ، فإسلامه كان مجرد كلمة فاد بها لينجو برأسه وليخلق سرطانا رهيبا في الجسم العثماني يستفحل ويتشتر ، ويتقل بالوراثة من جيل لآخر ، محافظا على نشاطه الهدام ، إذ ما لبث (المهتدي) أن طلب إذن من القصر ليقوم بنشاط حدي ، يدعو فيه ذويه وأقاربه ومن يثق به إلى الإسلام وقد استجاب القصر لذلك ، فسمحوا له بجولات في أنحاء البلاد وأطلقوا وراءه رجال المخابرات .

فماذا كانت النتيجة ؟

لقد أخذ الرجل يدعو كل من استمع إليه والتف حوله من اليهود في تركيا ، إلى أن يشهروا الإسلام بأفواههم ، ويمارسوا

نشاطا هداما ، لإفساد الأمة التركية وجعلها آلة في أيدي
الصهيونية وأشهر اجتماع انكشف فيه أمره كان في إحدى صواحي
استنبول علي البوسفور تدعى (كوزو جشمه) حيث ضبط يخاطب
أتباعه بالعبرية ، وأهم ما قاله : (الآن قد أصبحتم مسلمين اعملوا
بكل حرية ، عليكم أن تسيطروا على المصادر الدينية والطبيعية
والمالية والتجارية والروحية والحبوية للأتراك ، واستنفروا في سبيل
ذلك كل إمكاناتكم ، واستخدموا مختلف الوسائل حتى تتم لكم
السيطرة الشاملة عليهم) ، حيث ألقى القبض على الرجل ، وكان
عن المفترض أن يعدم لولا أن تدخل شيخ الإسلام ونصح بنفيه إلى
مكان يؤمن فيه شره ، لأن قتله سيجعله شهيدا ويضاعف من
الأساطير التي أشيعت حوله ، وهكذا تم نفيه إلى (سلانيك) ولحق
به الكثير من أتباعه ، وهكذا أيضا تحولت المدينة إلى مركز للدوغة
ومصدر إشعاع للخيانة والتآمر والأفكار المسمومة فيها وضعت كل
الخطط التي أدت إلى تصفية الدولة العثمانية ، ومنها اتبعت كل
الأفكار التي اتخذت طابع التحرر وعملت في الشخصية التركية
تخطيطا حتى تمكنت من تسخير فئة قليلة لمآربها ، ووجهتها وجهة
لا يربطها بالعرب والمسلمين إلا العداء والنفور . من (سلانيك)

خرج كل من ساهموا في تحقيق المطامع الصهيونية وفيها زرعت بذور البغضاء بين الأتراك والعرب ، وحيكت المؤامرات لتفتت الدولة العثمانية وتوزيعها على دول الغرب وإقامة دولة إسرائيل . وفي مقدمة هذه الفئة : جمال وأنور ولبازي . . . وآخرهم مصطفى كمال الذي لقب بعد انقلابه (أتاتورك) أي أبو الأتراك !! وقور أن استولى الاتحاديون على السلطة بمساعدة المثلث المشنوم كان أول شيء فعلوه أن فتحوا لهم أبواب اسطنبول والمدن التركية الكبرى بل وحتى أبواب فلسطين أيضا ليهاجر إليها اليهود ويستوطنوا فيها . وإلى سلاتيك نفى السلطان عبد الحميد الثاني ، الذي - على الرغم من كل مآسيت عنه من أباطيل - يشبث التحليل الموضوعي لوقائع التاريخ أنه كان ذا توجه إسلامي وعربي في سياسته ، كما أنه وقف ضد أطماع الصهيونية في فلسطين ورفض إعطائهم أي امتيازات بالرغم من التعرض المعرية لدعم ميزانية الدولة بمبالغ طائلة من المال .

في اسطنبول بدأت جماعة (الدوغة) بالسيطرة على مقدرات البلاد ، بدءا بالحكام والعسكريين فرجال الدين حتى أن أول شيخ للإسلام عين في بدء عصر نفوذهم كان : (موسى كاظم أفندي).

في ١٢/٧/١٩١٠ على أوائل عهد الاتحاديين . وأخذت تصدر عنه
 تصرفات وفتاوى تخدم أغراضهم وتبهر تصرفاتهم ، ثم وضعوا
 أيديهم على موارد البلاد فجري تعيين (دوغة جاويد) وزيرا للمالية
 وفي عهده تقدم الدوفميون في المجالات الاقتصادية ، والتجارية ،
 واستطاعوا بالربا الفاحش والاحتكار وبالاحتيال والاستغلال أن
 سيطروا على الأسواق الداخلية ، ثم انتقل نشاطهم إلى الإعلام
 والثقافة ، فأسسوا صحفا تدعو لكل مايتنافى مع الإسلام ويزعزع
 ثقة التركي بمعتقداته وتراثه ، فأصدر (أحمد أمين يالمان) جريدة
 (الوطن) ثم قدموا الدعم المالي لبعض أتباعهم لإصدار الصحف
 الموالية لهم كصحيفة (حريات) وأغلب صحف اليوم ، إما يملكها
 ويديرها الدوغة ، أو تتلقى الدعم المالي منهم ، شريطة أن تسير
 في فلكهم وتحقق أغراضهم . من هذه الصحف نذكر (ملليات)
 وجريدة (صباح) الأكثر انتشارا والأشدّ عداوة للإسلام والمسلمين
 والعرب باعتبارهم حملة الرسالة ، ثم قام (عمر رضا دغورل) وهو
 من الدوغة أيضا بترجمة القرآن ودعا إلى قراءته في الجوامع
 والصلوات بالتركية ، كما ترجم الأذان وفتح الأذان بالعربية وألف
 (ألف تكين الب) وهو يهودي الأصل وكان يدعى قبل إسلامه

(وايز كوهين) - كتابا أسماء (التتريك) ونشره بين طبقات الشعب يدعوهم فيه إلى نبذ كل ما يتعلق بدينهم وتراثهم لأنها رموز التخلف والرجعية ولقد ورد في إحدى صفحاته (ومما لا ينكر أن الدين شيء إضافي ، أو عبارة أخرى أمر ثانوي بالنسبة للإنسان وتنظيم حياته .

وأن الذين قسمت مشاعرهم السامية وتحللت روابطهم القومية ، فالدين لهم ، والدين عندهم كل شيء) .

ثم كانت انقلابات (أتاتورك) والرجل من سلانيك وهناك شبهات حول جذوره ، أن الرجل كان قائدا عسكريا فذا ، وهو بطل معارك الدردنيل أثناء الحرب العالمية الأولى التي أفشلت حملات الأسطول البريطاني لاحتلاله ، وحين قام بانقلابه اعتمد على قائد الجيش المؤمن (الجنرال فوزي جقمق) وتظاهر بأنه مسلم ملتزم ومؤمن صالح ، فكان يحرص على حضور صلاة الجمعة ويدعو الله رافعا يديه إلى السماء ، إلا أنه ما كاد يستتب له الأمر حتى أعلن علمانية الدولة ، وأخذ يقضي على كل رابطة مع العالمين العرب والإسلامي فألقى الكتابة بالحروف العربية ، ودعا إلى التخلص من المصطلحات العربية في اللغة التركية ، وسكن ناحية من الدوغة من

مقاليد الحكم الذين بدأوا حملة القضاء على هوية الشعب التركي
ببدءاً يدينه ومعتقداته ، وإثارة العداوة والكراهية بينه وبين العرب
والمسلمين ، وماتزال هذه الحملة حتى الآن ...) ...

كان (أتاتورك) كما يقول عنه صديقه ومؤرخ سيرته (عرفن
أورك) (١)

(كان قليل الاختلاط ، غير محبوب بين الأصدقاء في حياته
المدرسية ، كان أصدقاؤه قليلين جداً ، كان بشور وبهيج بسرعة ،
وكان في صفة طالبا مثاليا ذكيا مجتهدا متواضعا ، وكان شديد
الغرام بالإناث ، يجذبه هذا الجنس كالمغناطيس ... !!)

وكان يتسلى بالخمير ويشغل نفسه بها فإنه لا يجد ما يسلى به
نفسه وروحه كالإيمان بالله واليوم الآخر لأنه كان لا يؤمن بهما ...
وكان يشعر بفرح وسرور حين يعتدى على الآخر ويسطو به ،
وكانت هذه طبيعته التي فطر عليها ، وقد تجلت هذه الطبيعة في
تصرفاته ،

ولم يكن يعترف بعواطف غيره لأنه لا يرى أحدا يوازيه ، وكان

(١) نقلا عن كتاب «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» العلامة أبو
الحسن الندوي ص ٥٦ وما بعدها .

منظورا على حب التغلب على الآخرين وإخضاعهم لإرادته وهواه ،
وكان يحب أن يبقى على القمة دائما ، وقد أطلع على كتابات
والتر وروسو ، التي بعثت فيه روح الثورة وأيقظت فيه عواطفها
الخامدة) .

(وقد هضم في شبابه مع أفكاره الثورية تعاليم ضياء كوك
ألب هضمنا جيدا . وقد كافح كوك ألب للثورة والحرية الدينية ،
وكان رائد التنوير الفكري الغربي ، وقد تكهن في سنة ١٩٠٠ م
بانقراض الدولة العثمانية واضطراب جيلها ، وأنه واقع لا محالة
لأنها عشت بالشواجد على أسس الحكومة الفردية وكان يقول في
أكثر الأحيان (إن الحكومة الدينية حليفة ودية للحكومة الفردية
دائما) ، وقد انتصر للتحرر عن السلطة الدينية انتصارا قويا ،
وكان يرى أن تحدد سلطات العلماء . ويجب أن تحدد الجاساعات
الدينية المختلفة ، ويحظر على الأحزاب المتحمسة للدين ويضيق
الحناق عليها لأنها (كما يقول) تقع فريسة الشيطان فتتهتك
بالجهاد ، وقد دعا بقوة إلى إلغاء الشريعة وإقصاء قضاة المحاكم
الدينية الذين يشرحون القانون الإسلامي ويفسرونه ، وكان يرى أن
تقام المحاكم الحديثة والمحاكم الدينية) !!!

ويقول متحدثاً عما كان يضمّره ويعتقده كمال عن الدين عامة وعن الإسلام بصفة خاصة وعن وجهة نظره في كل ذلك :

(قد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين ، فإنه متناقسه الأكبر وكان يعتقد من صغره أنه لا حاجة إلى الله ، إنه اسم غامض خداع مجرد عن كل حقيقة ، وكان لا يؤمن إلا بالمشاهد المحسوس (١) ، وكان يرى أن الإسلام إنما ظل عاملاً هداماً في الماضي ، وأنه قد جنى على تركيا جناية كبيرة وألحق بها خسائر فادحة ، وقد تناسى أن الإسلام وحده هو الذي أسس الامبراطورية العثمانية الواسعة ، وكان يرى الناس قد أصبحوا فريسة الأوهام والجسود بتأثير الإسلام ، وكان يبغض الرجل الذي يخضع للقضاء والقدر ويقول :

- (هكذا أراد الله) (وهذا الذي قدر لي) وكان يعتقد أنه لا وجود للإله ، والإنسان يصنع قدره ، وكان يقول في أكثر الأحيان : إن قوة العقل وقوة الإرادة تتغلبان على (قسرة) الإله ، ولكن يقول المتدينون : (الله يهمل ولا يهمل) كان يقول : ألم يطلع هؤلاء

(١) وقد ذكر المؤلف في كتابه أن كمال أتاتورك في آخر عهده كان يرفع قبضته ويشير بها إلى السماء ساخراً مهوداً ..

المتدينون على الطاقة الكهربائية التي تشتغل بسرعة ؟ (وكان
خصمنا على سن القانون لتحريم الدين في تركيا ، ولو احتاج ذلك
إلى استخدام القوة وإلى الهدنة والتضليل) .

ويقول في موضع آخر :

(ولم يكن لديه معنى لمبادئ علم النفس وللنظريات والفلسفات
لذلك لم يمنع شئ عن أن يعتبر الدين غير لازم لتركيا وشبنا لا
حاجة إليه ، ولكن الذي أعطاه للأمة التركية عوضا عن الدين هو
(الإله الجديد) أي الحضارة الغربية ، وليس من الغريب أن الأمة
قد حاربت لروحها وقد تعلم درسا من تاريخ المذنبات الأخرى أن
الآلهة القديمة تموت بضعوبة وعسر (لذلك لا تخرج عقيدة الإله من
قلب الأمة التركية إلا بعد مدة طويلة) .

ويقول في موضع آخر :

(وكان يبغض الإسلام والعقيدة الصحيحة الراسخة بغضا
شديدا ، وكان يقول : يجب أن نكون رجالا من كل ناحية ، قد
قاسبنا خطوبيا ومصائب عظيمة وكان السبب في ذلك أننا عشنا
في عزلة عن الحياة ولم نحاول معرفة اتجاه العالم ويجب أن لا
نحتفل بما يقول الناس ، نحن في طريق الحضارة والمدنية ، ويجب

أن نعتزّ بذلك ونفتخر ، انظر إلى المسلمين في نواحي العالم الإسلامي .. إنهم يعانون من المصائب والنوازل والدمار ، لماذا ؟ لأنهم لم يستطيعوا أن يستخدموا عقولهم للتسجيم مع هذه الحضارة السامية المشرقة ، وهذا سبب يقائنا مدة طويلة في الحضيض ، وراء الركب ، ونردينا الآن في المهوة السحيقة ، وإن استطعنا في السنوات الماضية أن نتجّع إلى حد في إنقاذ أنفسنا فذلك لأن عقلياتنا قد تطورت ، ولكننا لا نقف على مكان ، بل إننا نهضنا لتتقدم ونواصل السير إلى الأمام فليحدث ما يحدث ، ليست لنا الآن طريق أخرى ، ويجب أن تعلم الأمة أن الحضارة نار ملتهبة تحرق جميع من لا يخضع لها .

ويذكر بغضه وعدائه للدين في موضع آخر ، فيقول :

(لم يكن ذلك سرا أن "مصطفى كمال" لا يدين يدين ، لذلك كان شائعا بين الناس أن الخلافة ستلقى قريبا ، وقد فزع الناس حين سماع أن "مصطفى كمال" رعى المصحف على رأس شيخ الإسلام الذي كان من كبار علماء الإسلام وشخصية محترمة) !!!
ويذكر المؤلف حبه وهيامه بالحضارة الغربية وما كان لها في نظره من القدسية والحرمة وكيف كانت تسيطر على عواطفه

وتتغلغل في عروقه ودمه ، فيقول :

(إن مصطفى كمال كان يتمسك إلى حد كبير بما يلقن ويقول
ويأمر به الناس ، وكان يعبد هذا الإله الجديد (الحضارة الحديثة)
بحماس ولهفة وكان له عابدا وقيما ، وقد نشر هذه الكلفة
(الحضارة) من أقصى البلاد إلى أقصاها وعندما يتحدث عن هذه
الحضارة تتقد عيناه لمعانا وإشراقا ، ويظهر على وجهه إشراق
كإشراق الصوفية عند مراقبة الجنة) .

ماذا كانت فكرته عن الحضارة وكيف كان يريد أن يرى الأمة
التركية؟

يقدر ذلك من الكلمات التالية التي يذكرها المؤلف :

(يقول مصطفى كمال لشعبه : يجب علينا أن نلبس ملابس
الشعوب المتحضرة الراقية ، وعلينا أن نبرهن للعالم أننا أمة كبيرة
راقية ، ولا نسح لمن يجهلنا في الشعوب الأخرى بالضحك علينا
وعلى مروتنا القديمة البالية ، نريد أن نسير مع التيار والزمن) -
(كان يتصور تركيا متطورة مصوغة في صياغة جديدة ، ولكن
المواد الخام الإنسانية التي رزقها الشعب التركي) كانت مجموعة
بشرية تتسم بالتشاؤم والكآبة ولم تتناولها يد صناع حادق شأن

الأغمار الذين يدخلون في الخدمة العسكرية جديدا ، بدأ يشتغل وحيدا وهو دافق بالحياة لا يثق إلا بنفسه ، لا يهدأ ولا يستريح ، وقد أصبح التدخل في شئون غيره عادة ، وكان ممثلا بالحسوية والقوة الفكرية) .

وقد قرر منع الطربوش وغطاء الرأس ، والزم لبس القبعة على الرأس عوضا عنه لكي يتصيح الشعب التركي بصيغة الأمم الغربية بأسرع ما يمكن ، ويندمج بها اندماجا كليا ، ولاتبقى ميزة يمتاز بها الشعب التركي عنها .

استعمل القوة النادرة والعنف البالغ في تحقيق هذا الغرض كأنه لا إصلاح أكبر وأهم من هذا ، وكان سعادة الشعب كانت تتوقف على ذلك ، وكأنه الشرط الأساسي لمجد تركيا وكرامتها ، وأن حرب القبعة الدموية تحولت إلى حروب صليبية .

يذكر مؤلف سيرته التركي هذه المعركة ويقول :

(وقد حدثت ثورات واضطرابات عظيمة هددت سلامة تركيا ، حتى أصدرت الحكومة أمرا لبارجة بالبقا . في ميناء البحر الأسود ، وأقيمت المحاكم في كل ناحية وصوب وفي أمكنة مختلفة للبلاد ، وبدأت تشتغل وتحكم ، أن هذه الأحكام أهاجت الشوار أكثر من

ذى قبل ، وأعدم رجال الطبقة الدينية الذين نفخوا فى قلوب
الناس روح المساومة والحماس الدينى القوى ، أو اضطروا لأن
يختفوا عن الأنظار ، ولم يستعمل رفقاً ورحمة ومسامحة فى
مناسبة وقرر مصطفى كمال تنفيذ المشروع وإقامه ، ولم يكن
يحتفل بالوسائل والطرق التى يستخدمها فى هذا الشأن ، يلتقى
القبض على الناس وكانوا يشقون لمجرد أنهم وجدوا يستخرون من
هذه الأحكام واستهدف لذلك الأتريا . والمجرمين سوا ...

إن كمال لم يؤنب المحاكم على إجرائها العنيفة ولم يتوقف
فى تحطيم إرادة الشعب .

وكان يقول فى ذلك الحين فى فخار وكبريا : :

(أنا تركيا ، هزمتى هزيمة تركيا) وقد أثارت هذه الأناينة
الجنونية أولئك الذين كانوا يعدونه منقذ تركيا وقد كسبت معركة
القبعة أخيرا ، وفازت المحاكم واعترف الجمهور والشعب بهزيمتهم
وقد أرسل مصطفى كمال مندوباً من قبله من أعضاء البرلمان أديب
ثروت إلى المؤتمر الإسلامى بمكة المكرمة (١٩٢٧م) ليشيخ للعالم
نجاحه وانتصاره وكان أديب ثروت المسلم الوحيد الذى حضر المؤتمر
وهو لابس قبعة ، وقد استقبله المسلمون الآخرون بانقباض

وعلى غضاضة ..

ولقد نظر الكثيرون من الزعماء والقادة إلى مصطفى كمال نظرة إعجاب وحب وكان المرحوم مصطفى النحاس باشا من المعجبين به هنا في مصر ...

وقد ذكر الرئيس محمد أنور السادات أنه تأثر به في مرحلة مبكرة من العمر ، وأن والده كان يعلق صورته في البيت ، ويشيد برعامته وجهاده في كل وقت ...

فهل كان (أتاتورك) يستحق كل هذا الإعجاب والحب ؟

إن ما فعله الرجل لتحرير بلاده عظيم من غير شك ..

لكن ... قليل هم العظماء والزعماء الذين يشرون هذه العظمة وتلك الزعامة إلى نهاية الشوط

هتلر ... كان أكثر عظمة من أتاتورك ... وانتهى به الأمر إلى الانتحار في قيو مظلم تحت الأرض وموسوليتي فعل لإيطاليا أكثر مما فعل أتاتورك ...

وكان مصيره الصليب على جذع شجرة في جبال الألب !
وغيرهما كثير من المغرورين والزعماء الذين جليوا لأوطانهم المذلة والعار والقحط والجذب !!

لقد بدأت معرفتى تنسج حول هذه الشخصية منذ سنوات قليلة
خلت كنت فى رحلة دراسية لمدينة كمبريدج (Cambridge
City) فالتقيت هناك صديقة ببعض الطلبة الأتراك الذين
يدرسون فى جامعته الشهيرة ، وبعد أن تعارفنا وتعمقت بيتنا
الألفة سألت هؤلاء الإخوة قائلاً :

(ترى إلى أى مدى تبحر أتاتورك ، وفى أى صف من القادة
العظام يضعه الناس والشعب ؟
وكانت مفاجأة لم أتوقعها من قبل ...

لقد صاح هؤلاء الطلبة فى وجهى بعنف .. وقالوا :
لا تقل (أتاتورك) بل قل (أخيترك) !!!
فعلمت من هذه اللحظة أن (أتاتورك) معناها (أبو الترك) وأن
هؤلاء الإخوة الأشقاء يرفضون الاعتراف به كآب .. بل هو فى
نظرهم أخيترك الحثاء الذى تكب بهم الشعب !!!

وفى موسم الحج عام ١٣٩٠ هـ التقيت فى فندق (جدة بالاس)
- بوفد يمثل حزب السلامة الوطنى ، وسمعت من هؤلاء النواب
والقادة مالا يكتب ! وكشفوا النقاب عن كثير من حياة (الذئب)
أو (التعلب) !

لقد ذكر الأستاذ / عبد الحميد عبدالغنى فى مقال له نشر
بأخبار اليوم (١)

(فى الواقع إن حركته - أى حركة أتاتورك - لم تكن حركة
عداء للدين الإسلامى ! ولا حركة انفصال اجتماعى أو فكرى عن
العالم الإسلامى ! بل كانت حركته حركة قومية يحتمل ترمى إلى
التهوض بتركيا من القيود بتخليصها من القيود التى تكبل
أيديها ، وتقيد خطاها باسم الخلافة الإسلامية . وطوقها
ومراسمها (وفى المقال نفسه .. وبعد أسطر قليلة . وفى الصفحة
نفسها يقول الكاتب ما نصه :

(قرر أتاتورك أن يستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية
حتى فى طبع المصحف الشريف ، وكذلك أسرف أتاتورك فى
قوانين الأحوال الشخصية إلى دائرة الخروج على القواعد الإسلامية
المقروءة !!!

فقد حرم القانون تعدد الزوجات تحريماً باتاً ؟! .. وجعل للقضاء
وحده حق الفصل فى طلب الطلاق ! وعدل قواعد الميراث فسوى
بين الابن والبنت !! ورفع عن المرأة الحجاب .. !

(١) أخبار اليوم ١٩٧٦/٩/٢٥ ..

واشتط وأسرف قدخل دائرة محرمة ؟! ، حيث أباح للمرأة المسلمة أن تتزوج من تشاء من أى دين كان ؟! وقرر إلغاء الأوقاف ووزارة الأوقاف.. ؟!

هذا هو ما فعل (أتاتورك) كما ذكر الكاتب بخط يده ، فكيف يستقيم ما كتبه أولا ، مع ذكره ثانيا ؟

وكيف يقول الكاتب قبل ذلك بأن حركته لم تكن حركة عداة للدين الإسلامى ، ولا حركة انفصال اجتماعى أو فكرى عن العالم الإسلامى ؟

وإذا لم يكن هذا هو الإتحاد والردة ، والانفصال والقطيعة فهل كان ينتظر الكاتب أن يقوم صاحبنا بهدم الكعبة وتخريب المسجد النبوى فى المدينة ؟!

إن (أتاتورك) لم يكن ينطق بلسانه ، أو يفكر بعقله أو يعمل لحساب شعبه ووطنه ، لقد كان آلة من آلات التدمير التى صنعها الغرب لحسابه ، وكان لعبة من تلك اللعب التى تجيد تشغيلها الجمعيات السرية لحساب الصليبية واليهودية وقد نشأ أتاتورك وعاش فى أحضان جمعية (الاتحاد والترقى) التى لعبت أخطر الأدوار لتدمير دولة الخلافة .

وكانت هذه الجمعية وأعضائها من أكبر المخربين للدولة ...
غير أننا لا نلوم هذا المؤلف أو ذاك حين يكتب ، فالكاتب
والقارئ يكتب ويقرأ ما يميل عليه أو يفرض ، لأن أكثر كتابتنا
ومفكرتنا من تلامذة الغرب الذي يرى في الإسلام عدوه اللدود
الأوحد ، ولم يكن مصطفى كمال إلا واحدا من هؤلاء التلاميذ في
الروح والمشرب . !

لقد دعا أتاتورك بقوة إلى إلغاء الشريعة ، وإقصاء قضاة
المحاكم الدينية ...

وقد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين فإنه منافسه
الأكبر ! وكان يعتقد من صغره أنه لا حاجة إلى الله !!!
وكان في آخر عهده يرفع قبضته وبشير بها إلى السماء ساخرا
مههدا ! وكان يرى أن الإسلام إنما ظل عاملا هداما في الماضي ،
وأنه جنى على تركيا جناية كبيرة ، وألحق بها خسائر فادحة وكان
يقول في أكثر الأحيان إن قوة العقل وقوة الإرادة تتغلبان على قوة
الإله .. !!

وكان مصمما على سن القانون لتحريم الدين في تركيا ولو
احتاج ذلك إلى استخدام القوة ، وإلى الخدعة والتضليل .

كان يفضى الإسلام والعقيدة الراسخة بغضاً شديداً ، ولم يكن
سراً أن (مصطفى كمال) لا يدين يدين ، وقد فزع الناس حين شاع
أن (مصطفى كمال) رمى بالمصحف على رأس شيخ الإسلام !!!
وقد قرر منع الطربوش وغطاء الرأس وألزم لبس القبعة
واستعمل القسوة النادرة والعنف فى هذا الغرض كأنه لا إصلاح
أكبر وأهم من هذا ..

وقد حدثت ثورات واضطرابات عظيمة هددت سلامة تركيا ،
وأقيمت محاكم فى كل ناحية ، وأعدم رجال الطبقة الدينية الذين
نفخوا فى قلوب الناس روح المقاومة والحماس الدينى ..
ولم يكن يعبأ بالوسائل والطرق التى يستخدمها فى هذا الشأن
.. يلقى القبض على الناس وكانوا يشتقون لمجرد أنهم وجدوا
يسخرون من هذه الأحكام ، واستهدف لذلك الأبرياء والمجرمين
على السواء .

ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين
اشتراطت إنجلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد
تنفيذ الشروط التالية :-

أ - إلغاء الخلافة الإسلامية ، وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله .

ب - أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

ج - أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

د - أن تختار لها دستورا مدنيا بدلا من دستورها المستمد من أحكام الإسلام .

فنفذ (كسال أمانتورك) الشروط السابقة ، فانسحبت الدول المحتلة من تركيا . !!!

ولما وقف (كرزون) وزير خارجية إنجلترا في مجلس العصور البريطانية يستعرض ما جرى مع تركيا ، احتج بعض النواب الإنجليز بعنف على (كرزون) واستغربوا كيف اعترفت إنجلترا باستقلال تركيا ، التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب .

فأجاب (كرزون) :

لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم ...
لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين :

الإسلام والخلافة !!!

فصنق النواب الإنجليز كلهم وسكتت المعارضة ... !
ومن الوثائق السرية التي نشرت مؤخرا وثيقة موقعة باسم وزير
المستعمرات البريطاني واسمه (أورسرجو) .

تقول هذه الوثيقة :-

إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي
يجب أن نحاربه وأن نقاومه .. !

وليست بريطانيا وحدها هي التي تلتزم بذلك بل تقف معها
فرنسا وكل دول أوروبا . !

ومن دواعي فرحتنا أن الخلافة الإسلامية قد زالت ! ونتمنى أن
يكون ذلك بغير رجعة . !

إن سياستنا تستهدف دائما منع قيام الوحدة الإسلامية أو
التضامن الإسلامي ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك (١١) - !!!

إن سياستنا في الحرب العالمية الأولى - مع العرب - لم يكن
الغرض منها القضاء على هذه الخلافة فقط بل والعمل على أحياء
النفرات القومية والعنصرية في مصر وتركيا وغيرها . !!!

* * *

(١١) تاريخ الوثيقة ١٩٣٨/١/٩ .

وهذا هو ما فعله (أنا تورك) ونفذ بالكلمة وبالخرف !!
 يقول العلامة محمد إقبال :- (إن كمال الذي تغنى بالتجديد
 في حياة تركيا ودعا إلى محو كل أثر قديم وتراث قديم جهل أن
 الكعبة لا تجدد ولا تعود إلى الحياة والنشاط إذا جلبت لها من
 أوروبا أصنام جديدة .. إن زعيم تركيا لا يملك اليوم أغنية جديدة
 إنما هي كلها أغاني مرودة معادة تتغنى بها أوروبا من زمان ، إن
 الجديد عنده هو القديم الأوروبي الذي أكل عليه الدهر وشرب ،
 ليس في صدره نفس جديد وليس في ضميره عالم حديث فاضطر
 إلى أن يتجاوب مع العالم الأوروبي المعاصر ، إنه لم يستطع أن
 يقاوم وهج العالم الحديث فذاب مثل الشمعة وفقد شخصيته (١) ،

* * *

في كتاب « كليله ودمنة » قال الملك دهبليم لبيديا القليسوف :
 أخبرني عمن يدع عمله الذي يليق به ويطلب سواء فلا يقدر
 عليه .

فبراجع الذي كان في يده من عمله فيقوته ويبقى حيران متلذذا
 - أي مترددا .

(٢) يال جريل .

فقال الفيلسوف :

زعموا أن « غرابا » رأى « حجلة » فأعجبته مشيتها فطمع في تعلمها .. فراض نفسه فلم يقدر على إحكامها .. فأنصرف (عاد) إلى مشيته التي كان عليها فلم يحسن .. فبقي حيران مترددا لم يدرك ما طلب ، ولم يحسن لما كان في يده الحفظ !!..

ثم قال الفيلسوف للملك :

فالولاية في قلة تعاهدهم للمرعية في هذا وأشباهه ألوم وأسوأ تدبيرا ، لأن تنقل الناس من بعض المنازل إلى بعض فيه صعوبة ومشقة شديدة ، ثم إن الأشياء في ذلك تجري على منازل حتى تنتهي إلى الخطر الجسيم من مضادة الملك في ملكه (١١) ..

* * *

ولم يكن « أتاتورك » إلا « غرابا » في دنيا الزعامة ! .. ولم تكن « أوروبا » أو « الحجلة » التي تعلق بها إلا نكبة عليه إلى يوم القيامة !

إن المأساة هنا لا تكمن فقط في محاربه الدين والعقيدة ، لقد ترك الرجل تركيا من ورائه عالة تعيش في كنف غيرها فكرا

(١١) كلية ودمنة ط - دار الشروق - بيروت - ١٣٧٢ هـ - ١٩٧٢ م ..

وسياسة ولا تنزال تركيا - حتى يومنا هذا - دولة متخلفة بمقاييس
التقدم والحضارة ولم يعترف بها الغرب كدولة أوروبية ، وكل
علاقتها مع أوروبا لا تزيد عن علاقاتها بأية دولة في البحر
الكاربي ، أو المحيط الهندي ، باستثناء تلك الأحلاف التي
جعلت من تركيا سندا للغرب في وقت الشدة وغمة على الشعب
في أوقات السلام والهدنة .. وكما يقول المرحوم العلامة إقبال :
« إنكم أيها الأتراك أخذتم جوار أوروبا وصحبتموها ، مع أنكم
كنتم بفضل الإسلام على مقربة من النجوم والكواكب .. » !!!

* * *

« والجنترالات » الذين يحكمون تركيا الآن صورة طبق الأصل
« من شيطانهم الأكبر ! .. لقد زرعهم أمتاتورك في أحشاء
« الشعب » بطريقة غير شرعية ! ..

إنهم نسخة متكررة من لقطاء « الشاريخ » الذي لا يعرف لهم
أصل ولا تعرف لهم هوية .. !!!

وقريبا يكشف « الستار » عن حقيقة هؤلاء الجنترالات الذين
فقدوا نور البصيرة والبصر وتلطخت جباههم وأيديهم يدماء الأبرياء
من أبناء الشعب التركي البطل .

إن «أتاتورك» لن يفيدهم شيئا يوم الحساب الذي أصبح قريبا
وإن أوروبا أو «الغرب» لن يحميهم من نهايتهم السوداء أبدا ..
إن هؤلاء الجنرالات لا يعوون دروس التاريخ جيدا .. إن تاريخ
سنة قرون من الجهاد في سبيل الله لن يذهب عبثا .. والشعب
التركي لن يقبل أن يضع تاريخه سدى ..

في «وصيته» إلى ابنه كتب الأمير «عثمان» مؤسس الدولة
العثمانية إلى ولده وولي عهده يقول له : "يا بني إياك أن تشتغل
بشيء لم يأمر به الله رب العالمين ، وإذا واجهتك في الحكم معضلة
فانخذ من مشورة علماء الدين مؤثلا ..

يا بني أحط من أطاعك بالإعزاز ، وأنعم على الجنود ، ولا
يغرنك الشيطان بجندك وبمالك ، وإياك أن تبسعد عن أهل
الشرعة.

يا بني إنك تعلم أن غايتنا هي إرضاء الله رب العالمين ، وأن
بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق ، فتحدث مرضاة الله جل جلاله .
يا بني ..! لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم
أو سيطرة أفراد فتحن بالإسلام تحيا وللإسلام قوت ، وهذا با
ولدى ما أنت أهل له " ..!!

غير أن الجهاد ضد هذا التجديف والهرطقة من الجنرالات كان قد بدأ في السنوات الأولى من حكم أتاتورك .. كان هناك شيخ اسمه « بديع الزمان » وقد حضر يدبغ الزمان إلى « استنبول » من شرق تركيا في عهد السلطان عبد الحميد يطلب فتح المدارس ، وإنشاء جامعة في « ديار بكر » غير أن الأحداث عاجلته وحلّع السلطان ، ثم كانت الحرب العالمية الأولى فتتطوع للقتال ، ثم أسره الروس ونفوه إلى « سيبيريا » وتكن هناك من الفرار والعودة إلى تركيا التي كانت قد سقطت في أيدي الغزاة ، فانضم إلى حركة مصطفى كمال التي كانت تستهدف في هذا الوقت تحرير الوطن وإنقاذه من يد الأعداء ، ثم اختلف بعد ذلك مع « أتاتورك » حين ظهر الانحراف ، فتفتت السلطة إلى غرب البلاد فظل ما بين أنقى وسجن وتحديد إقامة من سنة ١٩٢٨ إلى سنة ١٩٥٠ ، وخلال تلك الفترة ألف مائة وثلاثين كتابا سماها « رسائل النور » شرح فيها الدين بأسلوب جديد استهوى الشباب المثقف .. فتناقل الناس رسائله نسخا باليد ، وأصبح قراء الرسائل يسمون طلاب « رسائل النور » أو جماعة « نورجو » وهي جماعة تضم على الأقل ثلاثة ملايين شاب تركي .

فى تاريخنا الإسلامى .. كانت هناك ثلاث حركات تكاد تكون متشابهة بل تكاد تكون متطابقة .. كان لكل حركة من هذه الحركات دورها وأثرها فى الحفاظ على عقيدة الأمة ، وعلى بقائها صافية نقية ، وعلى تجنبها مخاطر التفتت والذوبان فى عقائد أخرى زائفة ، أو السقوط فى شرك الحضارة الوثنية القائمة .

أقدم هذه الحركات الثلاث هى حركة الإمام المجدد المجاهد الزاهد الشيخ أحمد بن عيد الأحمد الفاروقى السرهندى الملقب بمجدد الألف الثانى للهجرة فى الهند .

وثانى هذه الحركات هى حركة الإمام الشيخ عيد الحميد بن باديس فى الجزائر .

وثالث هذه الحركات هى حركة الإمام المجاهد بديع الزمان سعيد النورسى فى تركيا .

كانت حركة « ابن باديس » تجسيدا للمقاومة والثورة ضد الاستعمار الفرنسى الذى حاول طمس وتغيير كل ما هو إسلامى أو عربى فى الجزائر .

ألم يعلن الكاردينال الفرنسى « لافيجرى » أن الجزائر لم تعد مسلحة .. وأن الجزائر أصبحت مهددا للمسيحية ، وأن أجراس

الكنائس يجب أن تعلن لتحل مكان الأذان في أى مسجد أو زاوية...!!

وكما يخرج الدين من بين فوئد ودم ، ويطلع الفجر من بين ثنايا
الظلام والليل استيقظت الجزائر كلها على صوت الشيخ عبد
الحميد بن باديس وهو يعلن بأعلى .. صوت :

شعب الجزائر مسلم	وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله	أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجاً له	رام المحال من الطلب

وقد سلك في ذلك طريق التعليم والتربية ، والوعظ والدعوة ،
والنشر والصحافة ..

كانت حركة الشيخ بن باديس معاصرة لحركة الشيخ سعيد ،
فالشيخ سعيد ولد في عام ١٢٩٣هـ بينما ولد الشيخ بن باديس
في عام ١٣٠٨هـ .. أي أن الشيخ سعيد أكبر من باديس بحوالي
خمس عشرة عاماً ..

وبينما توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس مبكراً .. أي في عام
١٣٥٩هـ فقد توفي الشيخ سعيد متأخراً أي عام ١٣٧٩هـ ..
غير أننا نرى في حركة الإمام « أحمد السرهندي » تطابقاً كاملاً

مع حركة الإمام سعيد النورسى .. من حيث الظروف التى نشأت فيها والمشكلات التى واجهتها ، والنتيجة التى انتهت إليها كل منهما ..

فالإمام «السرهندي» نشأ فى عصر أسوأ حلوك الإسلام فى الهند قاطبة .. فى عصر الملك «أكبر» ..

ذلك الغر الذى أراد أن يقضى على الإسلام فى الهند قضا .. ميرما وإلى الأبد ..

وأن يضع ديناً جديداً مقتبساً من شعائر الوثنية ورسومها يتخللها شئ من تعاليم الإسلام وتوجيهاته .. والذي حصله على اقتراح هذه الجريمة الشنعاء حرصه على بقاء الملك والتحبيب إلى أهالى البلاد من الهنادك ، وزعمه الفاسد بأن هذا الصنيع يقربه إليهم ويرفع مقامه فى أعينهم ويحل محل الصدارة من قلوبهم .. فاختر لذلك طرقاً عديدة ومناهج متنوعة .

منها تزوجه من بنات أمراء الهنادك مع بقائهن على عقائدهن وتمسكهن بدياناتهن وأدانتهن لشعائرهن فى القصر الملكى .

ومنها تخلفه بأخلاق الوثنيين وعاداتهم وتقليدهم فى ملابسهم . وقد بلغ منه الكره والعداء للإسلام أن كان يسمى الخدم والفراشين

بأسماء النبي ﷺ (أحمد ومحمد) . - تحقيقاً لشأن الرسالة وغطاً
من كرامتها .

وكذلك استبدل بالتقويم الهجرى الإسلامى تقويماً جديداً سماه
التقويم الإلهى ببتدئ بسنة جلوسه على سرير الملك .

ومن بدعه أنه أحل الخمر والقمار وغيرها من الخبائث
والمنكرات وأعانه على ذلك علماء السوء فى عصره من عبید
الدينار والدرهم ، فزيتوا له ما سوله له عقله المعتوه ، وجعلوه
بستيقن من نفسه العصمة وتخوله الحق فى أن يشرع من القانون
ما يشاء . ويضع من الأحكام ما يريد إلى غير ذلك من الأباطيل
والخزعبلات التى تضيق هذه العجالة عن سردها .

وجملة القول إن هذه البدع والمنكرات ما كانت إلا مقدمة لما
كان عقد العزم عليه من وضع دين جديد ينسخ به دين الله الخالد
بزعمه ظناً منه ومن خواص أشياعه أن هذا الدين (الإسلام) الذى
جاء به محمد العربى - و «البدوى» حسب تعبير أولئك الزنادقة ،
قد مضى عليه ألف سنة ، والعصر الجديد يومئذ فى حاجة إلى دين
جديد يوافق ميول أهل العصر وأهواءهم ونزعاتهم .. فأعلنوا
دينتهم الجديد وسموه «الدين الإلهى» .

وكان شعارهم في ذلك «الله أكبر» يريدون به أن هذا الملك الضليل المعتوه (أكبر) هو الله ..!! (١)

فكان من أثر كل ذلك أن أصبح عصر هذا الملك المأفون (٩٦٤ - ١٠١٤هـ) عصر بلاء ومحنة للإسلام والمسلمين في هذه الديار اتسع فيه الخرق على الراقع وجاوز السيل الزبي .. فاضطهد من اضطهد من عباد الله وحبس ، واعتقل من اعتقل .. إلا أنه مما يؤلم القلب ويدمع العين أنه قد زلت في هذه الفتنة العمياء أقدام الخاصة والعامة ولم يشج من شرها حتى من كان يعد من كبار العلماء الفقهاء في ذلك العصر ، فلم يثبت في تلك المحنة الكبرى إلا عدد قليل منهم جدا .. أما جمهور العلماء والعدد الغالب منهم ، فقد استسلموا لأمر الملك وجبروت السلطان القاهر ولم يتخرجوا من التوقيع على «المحضر» الذي ادعى للملك العصمة وخوله الحق في وضع الشريعة .

لما آل الأمر إلى ما تقدم بيانه من غربة الإسلام في هذه البلاد ، والتضيق على المسلمين واضطهادهم ، وأصبح مثل القابض على الدين من بينهم كمثل القابض على الجمر .

(١) كان من أشد المعجبين بهذا الملك المعتوه - هنا في مصر - الهالك لويس عوض !

وقف الرجل الذي قبض الله أن يقف في وجه هذا الطاغية
 وأنصاره الضالين المضلين ، ويرفع لواء أفضل الجهاد ، ويصدع
 بكلمة الحق ويكبح جماح غوايتهم ، ويقضى على بدعهم وشورهم
 قضاء مبرما ، فقام الإمام المجاهد العالم الزاهد الشيخ أحمد بن
 عبدالأحد الفاروقي السرهندي الملقب بمجده ألف الثاني للهجرة
 بالجدارة والاستحقاق ، وشمر عن أذباله لمقاومة الفتنة الأكبرية ورد
 مكاييد أعداء الإسلام ، وتهذيب نفوس أهل القواية وجاهد في
 ذلك جهادا موفقا مبرورا حتى أنجحه الله في مساعيه ، وقضى
 قضاء مبرما على فتنة هذا الملك المعنوه وحواريه ..

كانت انتخابات سنة ١٩٥٠ معلما من معالم التحول في تاريخ
 تركيا الحديث وبعبارة - أكثر تحديدا ودقة - بداية سقوط
 «أتاتورك» في أعين الشعب التركي الشقيق .. ففى هذه
 الانتخابات نزل الحزب الديمقراطي ببرنامج عجيب يتلخص في
 عدة نقاط :

أولها : عودة الأذان باللغة العربية ..

وثانيها : السماح للأتراك بالحج ..

وثالثها : إعادة تدريس الدين بالمدارس ..

ورابعها : إعادة « أيا صوفيا » مسجدا كما كان ..

وكانت النتيجة مذهلة .. فقد حصل الحزب الديمقراطي على ثلاثمائة وثلاثية عشر مقعدا ، وسقط حزب « أتاتورك » الذي لم يحصل على أكثر من اثنين وثلاثين مقعدا .. واستجاب « عدنان مندريس » زعيم الحزب الديمقراطي لمطالب الشعب على الفور .. فعقد أول جلسة لمجلس الوزراء في غرة رمضان .. وأعاد « الأذان » باللغة العربية كما كان .. وبدأ تعمير المساجد وأصدرت الحكومة قانونا تستعيد به المساجد التي ياعها « أتاتورك » ..! .. وتقرر تدريس الدين في المدارس .. وفتحت مدرستان للأئمة والخطباء ..! .. كما تقرر فتح خمس وثلاثين ألف مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ..! .. وقد ذكر المراسلون ووكالات الأنباء أنه في اليوم الذي تم فيه إعلان الأذان باللغة العربية خرج الرجال والنساء إلى الشوارع باكين من الفرحه قائلين :

آذان عربى شريف .. آذان عربى شريف ..! ..

وقد كتبت « بارى ساتش » الفرنسية حول مظاهر الصحوة الإسلامية وتحذير الغرب منها قالت :

« من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادى ومن إفريقيا
السوداء إلى حدود سيبيريا بدأ صوت الإسلام يرفع راية الإسلام
فى كل مكان ، وراية الإسلام بدأت تخفق من جديد بعد طول
غياب فى بعض الأماكن بينما هى تستعد للارتفاع فى مناطق
أخرى .. فما هى الاحتياطات التى ينبغى على الدول الغربية أن
تتخذها فى مواجهة ذلك ؟ .. وكيف نستطيع أن ندرك حقيقة ما
يجرى لكى لا نفاجأ بالأحداث » ١٤٠٠

إن الأجواء مهيأة لحدوث الصحو الحقيقية التى تتوج
باستئناف الحياة الإسلامية من خلال صياغة نظام إسلامى بديل
لنظم الوضعية المعاصرة ، وبحيث يستوعب ضرورات الحياة
الحديثة ومستجداتها ، ويتلمس لها الحلول الشرعية عن طريق فتح
باب الاجتهاد سواء من قبل الفقهاء كأفراد أو من قبل المجامع
الفقهية فى العواصم الإسلامية ..

وإذا كانت الحقبة الأخيرة قد أكدت انتصار الإسلام فى معركة
التحدى لكل من الرأسمالية العلمانية والشيوعية الإلحادية ،
بديل الفشل الذى تلعبه فى الحضارتين الماديتين الشرقية والغربية
فإن الإسلام يؤكد لنا جدارته للعودة إلى حياتنا من خلال صموده

فى كل المعارك التى تعرض لخوضها حتى الآن ..؟! وكما يقول الكاتب البريطانى والصحافى المعروف «إدوارد مورثيمر» أن مصطفى كمال بالرغم من كل الإجراءات التى اتخذها لتحديث وعلمنة تركيا إلا أنه لم يستطع قتل الشعور الدينى الجارف داخل قلوب ومشاعر غالبية الشعب التركى رغم الحظر الذى مارسه «الكمايون» فى تركيا طيلة السنوات الستين الماضية .. ويقول : «إن شعورا جارفا وقويا للعودة للتقاليد والنظم الإسلامية قد نما بين مختلف طبقات الشعب التركى» ..

لقد ذهب مراسل جريدة «التايمز» The Times إلى أحد البنوك التركية فشهد هذا المشهد : لدى إحدى متاضد الصرف ، وعدد من موظفى المصرف يقبلون فى جدال عنيف على سيدة كهلة تدل ملابسها الظاهرة على أنها من الفلاحين .. وكانت السيدة تصيح بلهجة تركية حازمة :

«كلا أبدا .. اصنعوا بالنقود ما بدا لكم ولا تعطوشى إياها» ..

ألم يرد فى كتاب الله أن أكل الربا حرام مهلك ..!!

ودنوت منهم مأخوذا بهذا المشهد الرائع .. وقام من بينهم محمد «بك» وهو تركى من أبناء الجيل الحديث ذى الصبغة

الأوروبية الخالصة ولا يكاد يظن الناظر إليه في أى مكان إلا أنه غريب ، وقد عهدته باسمنا رزينا - قد علاه خليط عجيب من الحرج - فأقبل على مينا أنها قروية لها مع المصرف حساب ، وهو أمر أصبح مألوفاً نتيجة الإثراء الذى طرأ منذ أعوام على كثير من الفلاحين الأتراك .. ثم روى لى كذلك أنها (مسلمة شديدة التدين شأن سائر الفلاحين) وأنها استحققت خمسين ليرة فائدة على ودائعها لكنها تأبى إياه قاطعاً أن تمس شيئاً منها لأن القرآن ينهى عن أخذ الربا) .. !!

أسعنت النظر فيها ، فإذا هى ضاربة على رأسها بالحمار المعهود سائرة به ذقنها ومسدلة إياه على أسفل الجبهة .. وهذا الشرشف - كما يسمونه - هو البقية الباقية من سالف الحجاب فى تركيا .. وكانت ترتدى ثياباً فاقعة الألوان وسراويل واسعة فضفاضة مما يعرفونه باسم «الشلفاز» ..

ولبت تتأمل فى كشف رصيدها بكثير من الريبة .. ثم اثبتت فجأة مشيرة بيناتها - إشارة اتهام - إلى جملة من الأرقام أضيفت إلى الحساب ، معلنة بحزم فاصل :

« هذا هو » القاضى ولن آخذه أبداً .. !!

يقول مراسل التايمز (The Times) : لقد أيقنت من هذه اللحظة أن الإسلام في تركيا يستعصى على الموت !!.. وأن كل ما فعله « أتاتورك » تلاشى أمامي في غمضة عين !!..
إن رأس الأمر كله هو الدين - كما قال مولانا محمد علي -
في محاكمته الشهيرة في مدينة كراتشي - والمرء الذي لم يبدأ حياته به لا يتستع بحياة حقيقية ولا يشعر بالمعنى الحقيقي لهذه الحياة !!..

إن واجبه الأول وولاء الأوحى يجب أن يكون لله .. قد يتمتع ببعض التكريم ، وقد ينال شينا من الولاء غير أن هذا التكريم وهذا الولاء بمقارنته بالولاء والإخلاص لله بذوى كالورقة التي يلفحها اللهب المشبوب فتذروها الرياح الأربع .. أو تلوث يد المسك بها بالسواد !!..

إن الإيمان لا يموت بالقتل !! .. وإن قطرة واحدة من دم شهيد كافية لإشعال النار في الجليد والثلج .. وفي تركيا اليوم نداء جديد يتردد صدى مع كل فجر .. إنه نداء الإيمان الذي انعكس داخل الصدور فترة من الوقت فمدارس القرآن تنتشر وتزداد ، ومجالس العلم تعود إلى سابق عهدها في المساجد ، وقد تساءلت

جريدة «لوموند» الفرنسية عن هذه الظاهرة الجديدة في تركيا
فقلت : ترى هل استيقظ الرجل الميت ؟ ..

نعم قد استيقظ !! فالشعب الذي حمل لواء الجهاد ستة قرون
دفاعا عن الإسلام لا يمكن أن يموت والأمة التي من رجالها رجال
كمحمد الفاتح وسليمان القانوني وسعيد النورسي ... لا يمكن أن
تقهر .. لكن .. هل يقف الإسلام عقبة في طريق التقدم ؟ .. وهل
الدين هو سبب تأخر المسلمين بين الأمم ؟

يقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله محببا على هذا
السؤال : كتب إلى تلميذي المرشد الشيخ محمد بسيوني عمران ..
إمام مهراجا جزيرة سمس .. بورينو (إندونيسيا) .. كتابا يقترح
فيه على أخيها المجاهد (أصير البيان) أن يكتب للمنتار مقالا بقلمه
السيال يبين فيه أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر وأسباب
قوة غيرهم من اليابان والإفرنج ..

وقال في كتابه :

إنه قرأ ما كتبناه في (المنار) وتفسيره من بيان الأسباب في
الأمرين وما كتبه الأستاذ الإمام محمد عبده في مقالات (الإسلام
والنصرانية مع العلم والمدنية) في الموضوع نفسه ، وأنه يريد

برسالته أن يكتب ذلك أمير البيان شكيب أرسلان بقلمه ..

يقول الشيخ محمد بسببوني عمران في رسالته :

ما أسباب ما صار إليه المسلمون من الضعف والاحتطاط في
الأمر الدينية والدنيوية معاً ؟ رغم ما يقول الله في كتابه :

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ .. فأين هي عزة المؤمنين

الآن ؟ .. وهل يصح لمؤمن أن يدعى أنه عزيز ؟ .. ويتساءل أيضاً :

ما الأسباب التي ارتقى بها الأوروبيون واليابانيون ارتقاءً هائلاً ؟

وهل يمكن أن يكون المسلمون أمثالهم في هذا الارتقاء مع

المحافظة على دينهم وعقيدتهم ؟

هذه هي الأسئلة التي وضع بشأنها هذا الكتاب (١) .. وكان

ذلك منذ حوالي نصف قرن تقريباً ، وقبل أن تبدأ الحرب العالمية

الثانية بحوالي عشر سنوات .. وبعد أن تقاسم العالم الإسلامي

والعربي قوى الاستعمار الغربية وبدأت تمارس فيه أحقادها الدفينة

ومؤامراتها الدنيئة .. كان العالم العربي في هذه الآونة شراذم ممزقة

والمسلمون يتألمون في كل أمة .. فقد أجهضت دولة الخلافة ووجهت

إلى الإسلام طعنة قاتلة وخرجت من الجحور والشقوق عقارب

(١) يقصد كتاب « لماذا تأخر المسلمون » الذي كتبه الأمير شكيب أرسلان ..

البغضاء والكراهية .. وارتفعت هنا وهناك شعارات تطالب
بالفصل بين الدين والدولة ووقف أتاتورك يعلن إلى العالم تبرأه
من الإسلام والعروبة ..

وفي هذا الجو الخانق يصدر هذا الكتاب ويحيى جواباً على
تساؤل أذهان الكثيرين من أبناء العالم الإسلامي الذين تكاثفت
من حولهم الظلمة .. وأحاط بهم بأس قاتل تموت فيه الهممة ..

لكن من هو أولاً المرحوم الأمير شكيب أرسلان ؟

لقد ولد الأمير شكيب في بيت « أرسلان » العريق في لبنان في
شهر رمضان المبارك سنة ١٢٨٦ هـ وتعلم مبادئ القراءة والكتابة
على يد معلم خاص حسبما كانت عليه عادة السراة في ذلك الحين ،
ثم انتقل إلى التعلم على يد أستاذ آخر فحفظ جانباً من القرآن
الكريم وحين بلغ العاشرة من عمره دخل مدرسة الحكمة في بيروت
وتلقى فيها دروس العربية على يد الشيخ عبد الله البستاني ..

وفي مدرسة الحكمة تعلم اللغة الفرنسية والتركية وظهرت
تباشير شاعريته وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وكان في سن
دراسته مبرزاً على أقرانه وما هي إلا سنوات قليلة حتى رحل إلى
دمشق وبدأ يجالس المشاهير ويتعرف عليهم من أمثال : الشيخ

محمد عبده ، وسعد زغلول ، والشيخ على البستاني ، والشيخ
على يوسف صاحب جريدة «المؤيد» ، وحقني ناصف ، وأحمد زكي
باشا ، وطلق رحمه الله وهو في سن الشباب ينشئ علاقات
شخصية وأدبية مع أعلام عصره أمثال الشاعر إسماعيل باشا
صبري ، وأمير الشعراء أحمد شوقي ، والبارودي ، وعبد الله باشا
فكري ..

وتقلبت به السجون شاعرا ، وثائرا ، ومصلحا ، وبحائث لغويا ،
وزعيما سياسيا ، ومترجما ومحققا ، وهو في كل ذلك لسان حال
العروبة الصادق ، ورجل العقيدة الذي لا يخاف في الله لومة لائم .
لقي الأمير شكيب أرسلان ربه في الخامس عشر من محرم
١٣٦٦ هـ / ديسمبر ١٩٤٦ م فأفل النجم الذي أضأ دتبا العرب
وأغمد ذلك السيف طالما دافع عن قضايا العروبة والإسلام .
وقد لاقى هذا الكتاب الذي دبهجه براع الأمير شكيب أرسلان
بقلمه - راجا في كل أنحاء العالم الإسلامي - وكان أشبه بعودة
الشباب في الظلام الدامس المدلهم وقد قوبل هذا الكتاب بمعارضة
ومطاردة من الدوائر الاستعمارية .. وقابلته فرنسا بحماسة شديدة
فصنعت دخوله بلاذ شمال إفريقيا وحرمت قراءته على الناس كأنه
وباء ..

وفرضت العقوبات الصارمة على كل من يوجد عنده هذا الكتاب .. يقول الأمير شكيب :

لقد ظن كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام وكل ما لا يكلفهم بذل دم أو مال .. وانتظروا بذلك النصر من الله .. وليس الأمر كذلك فإن فرائض الإسلام لا تنحصر في الصلاة والصيام ولا في الدعاء والاستغفار .. كيف يقبل الدعاء ممن قعدوا وتخلقوا ، ويخلوا وما بذلوا .. فكيف بطمع المسلمون أن تكون لهم منزلة الأوروبيين في البسطة والقوة وهم مقصرون عنهم بمراحل في الإيثار والتضحية ؟

ويقول الأمير شكيب .. يقولون :

لماذا سادت الأمة الإنجليزية هذه السيادة على العالم ؟
ونقول لهم جوابا عن ذلك : إنها سادت بالأخلاق والمبادئ الوطنية العالية .. إنني أعرف رجلا إنجليزيا كان يأمر خادمه أن يشتري له الحوائج اللازمة لبيته يوميا من دكان رجل إنجليزي في البلدة التي يقيم فيها .. فجاءه الخادم يوما بجدول حساب وفر عليه به عشرين جنيها في الشهر فسأله الإنجليزي : كيف أمكنتك هذا التوفير ؟

فقال له الخادم : تركنا دكان الإنجليزى الذى كنا نشترى منه
إلى دكان آخر يبيع بسعر أرخص .. فقال له الإنجليزي :
ارجع إلى الدكان الأول الذى كنا نشترى منه .. فقال الخادم :
ولو كان ذلك يكلفنا عشرين جنيها زيادة ؟ ..
قال الإنجليزي : ولو كلفنا عشرين جنيها أخرى ..

إن العطاء والتضحية والبذل هى التى تصنع تاريخ الرجال
والأهم لقد قام أهل الريف المغربى فى وجه الدولة الإسبانية فطردوا
جيوشا بعد أن أبادوا فى معركة واحدة ٢٦.٠٠٠ (ستة وعشرون
ألفا) من الإسبان وغنموا منهم ١٧٠ مدفعا مع أن أهل الريف
جميعهم لم يكونوا يزدون فى هذا الوقت عن ثمانمائة ألف رجل
وامرأة وطفل وكان عدد سكان إسبانيا فى ذلك الحين يقارب اثنين
وعشرين مليونا ..

إن المبالغ الزهيدة التى جمعها المسلمون لنصرة المجاهدين فى
برقة وطرابلس هى التى أوقعت بايطاليا أفدح الخسائر وكبدت
ميزانيتهامئات الملايين من الجنيهات .. ففى وقعة واحدة هى وقعة
« الفويهات » على باب « بنغازى » ثبت مائة وخمسون مجاهدا
عربيا لثلاثة آلاف جندى إيطالى من الفجر إلى غروب الشمس

حتى انقراضوا جميعا وبينما كان المسلمون في حزن لوفاة هؤلاء
المجاهدين جاءت الأخبار بأن إيطاليا فقدت في هذه المعركة وحدها
١٥٠٠ جندي .. وأصيب سبعة من ضباطها بالجنون .. وصدق الله
العظيم :

﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ .. وَإِنْ يَكُنْ
مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ..

لقد كانت نتيجة هذه الموقعة انفجارا زلزلا أرجاء إيطاليا ..
مائة وخمسون يقتلون ألفا وخمسمائة .. ويتسببون في جنون سبعة
من الضباط .. مائة وخمسون بالبنادق والأسلحة العتيقة يتصدون
لجيش أوروبي فيدمرونه ويدحرونه ..

لقد جن جنون إيطاليا ، فما سر هذه التضحية في جنود
العرب ؟ .. إنه الإسلام .. قلنحرك في شباينا أحقاد الماضي
الدفينة وتاريخ الحروب الصليبية .. فكان هذا الشهيد الذي يقطر
حقدا وعداوة وهمجية ..

صلى يا أماء ولا تبكى .. بل اضحكي وتأمل ..
ألا تعلمين أن إيطاليا تدعوني وأنا ذاهب إلى طرابلس قرحا
مسرورا لأبذل دمي في سبيل سحق الأتمة الملعونة .. ولأحارب

الديانة الإسلامية ..

سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ..

ليس بأهل لمجد من لم يمت إيطاليا حقا ..

يا أماء .. أنا مسافر .. ألا تعلمين أن الأمواج الزرقاء

الصفية من بحرنا ستلقى سفائننا على المراسي .. ؟ أنا ذاهب إلى

طرابلس مسرورا لأن رايتنا المثلثة الألوان تدعوني وذلك القطر تحت

ظليها ..

لا تموتى لأننا في طريق الحياة .. وإن لم أرجع فلا تبكى على

ولديك ..

ولكن اذهبي كل مساء وزوري المقبرة وتسائم الأصيل تحمل إلى

طرابلس وداعك الذي يأبى الحداد على قبر فلذة كبديك ..

وإذا سألك أحد عن عدم حداثك على .. فأجيبه ..

إنه مات في محاربة الإسلام ..

يقول المرحوم أرسلان :

ومن أغرب الأمور أن ترى الأوروبيين ودعاتهم وتلاميذهم من

الشرقيين يتهمون المسلمين بالتعصب .. ويزعمون لأنفسهم

التساهل في أمور العقيدة والدين .. ؟

بل إن بعض المسلمين «جغرافيا» ينساقون ببلاهة وراء هذه
الأكذوبة الضخمة فيتساهلون في أمور دينهم حتى يكونوا
«متمدين» وعصريين ..

فالمسلم في نظر هؤلاء لا يكون «غير متعصب» إلا إذا سمع
بتنصير المسلمين ثم يمر بذلك كأن لم يسمع شيئا .. وإلا إذا سمع
أن الهولنديين والفرنسيين نصرّوا عشرات الألوف من المسلمين فهز
كتفيه كأن لم ير شيئا ..

هنالك بصير «راقبا» وبعد «عصريا» ويصبح عند أعداء الله
محبوبا ..

أما الأوروبي فله أن يبذل القناطر المقنطرة على بث الدعاية
التبشيرية بين المسلمين وله أن يحميها بالمدافع والطائرات
والدبابات ..

وله أن يحول بين المسلمين ودينهم بالقوة والمدفعات .. وله أن
يدس كل دسيسة ممكنة لهدم الإسلام في بلد الإسلام وليس عليه
من حرج في ذلك ولا يسلبه هذا العدوان والبغض صفة «راق» و
«متمدين» و «عصري» ..

وهؤلاء المسلمون الجغرافيون برغم هذه الشواهد والأدلة ورغم

ما فعلته فرنسا « اللادينية » فى محاولة تنصير البربر وفصلهم عن الإسلام .. ورغم حماية « هولندا » لمبشرى الإنجيل وإصرار بلجيكا على تنصير أهل الكونغو .. ومنع الإنجليز للدعاة المسلمين فى كينيا وأوغندا وتنجانيقا وجنوب السودان .. ورغم أمور كثيرة لا نستطيع شرحها فإن الأغبياء لا يزالون يقولون :

إن أوروبا قد رفست الدين .. وصارت دولها علمانية لا دينية .. ولهذا تقدمت وترقت ولا سبيل لرقبتنا حتى نترك الدين .. ؟
ونقول لهؤلاء الأغبياء والعصى فى أمتنا ..

إن التبشير والاستعمار يسيران جنباً إلى جنب .. بل إن التبشير كان دائماً هو طبيعة الاستعمار فى كل أرض ، فقد أرادت أن توهم المسلمين بتخليها عن « الدين » حتى يحذو حذوها وينفصلوا عن مصدر القوة والعزة والحرية .. أوهمت المسلمين ظاهراً بهذه الأكذوبة ثم أطلقت « عصابات التبشير » فى مستعمراتها تحت حماية قواتها المسلحة لتدمر وتخرب فى عقائد المسلمين .. لأن الإسلام هو العزة والحرية .. وما بقى المسلمون مسلمين فلا بقاء لمستعمر فى أرض تدين بالإسلام والرسالة المحمدية .. وهنا نقف وقفة قصيرة ..

لقد حدثني في العام الماضي (١١) رجل كان يشغل منصبا قانونيا كبيرا في هيئة دولية .. قال ذلك الرجل المسلم :
عندما أمت قناة السويس وجد في ميراثيتها قرار باعتماد خمسة ملايين جنيه ترصد لأعمال التبشير سنويا في المنطقة .. والأغرب من هذا كله أن «فرديناند ديلسبس» المهندس الفرنسي الذي أشرف على شق القناة أرسل إلى بابا روما بعد حفل الافتتاح برقية يخبره فيها بأن الطريق إلى غزو العالم الإسلامي والسيطرة عليه أصبح ممهدا .. وسهلا !!

بل إن أحد الرهبان واسمه «سان لوى» هو الذي فكر منذ زمن بعيد بشق هذه القناة ليصبح الطريق مفتوحا أمام جحافل الغزو الصليبي في قلب العالم الإسلامى ..

ولم أعجب حين سمعت من الرجل القانونى هذه القصة .. فقد رأيت بعيني تلك المدارس التبشيرية التى أنشأتها شركة قناة السويس فى مدن القناة كلها ..

وكل هذه المدارس تديرها راهبات بإشراف الكنيسة والكرادلة وهى مدارس «سان فنسان دي بول» و «سان لوى» و

«الفرنسيسكان» ويانباستير والصليبي الحاقه فرديناند ديلسبس.

نعود مرة أخرى إلى كتاب المرحوم شكيب أرسلان :

يقول رحمه الله : إن من أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم فكما أن آفة الإسلام هي الفتنه التي تريد أن تلغى كل شئ قديم بدون نظر فيما هو ضار أو نافع .. كذلك آفة الإسلام هي الفتنه الجاحدة التي لا تريد أن تغير شيئاً ولا ترضى بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامى ظناً منها بأن الاقتداء بالكفار كفر ، وأن نظام التعليم الحديث مع وضع الكفار ..

لقد أضع الإسلام جاحد وجاحد ..

أما الجاحد فهو الذى بأبى إلا أن يفرنج المسلمين وسائر الشرقيين ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ، ويحصلهم على إنكار ماضيهم ويجعلهم أشبه بالعنصر الكيساوى الذى يدخل فى تركيب جسم آخر قبيح فيه ويققد هويته .. وذلك لا يصدر إلا من القسمل الخسيس التعس الذى يشعر أنه فى وسط قومه دنى الأصل فيسعى هو فى إنكار أصل أمته لأنه يعلم نفسه منها بمكانة خسيه ليس له نصيب من الأصالة فيريد أن يجعل الكل شريكاً له فى هذه الخسة ..

إنهم كالقروءة بقلدون بغير وعى ولا إدراك .. فقد قال المستر «شميرلين» ناظر خارجية إنكلترا سابقا .. ورئيس وزرائها فى مطلع الحرب العالمية الثانية .. نحن الإنكليز أمة تقليدية محافظة على القديم لا نرضى بتبديل شئ من أوضاعنا إلا إذا ثبت ضرره ولم يبق مناص من تغييره ..

ومما يزيد هذا المثال تأثيرا فى النفس أن الأيرلنديين أمة صغيرة مجاورة للإنجليز وقد حاولت بريطانيا كل ما يتصوره العقل لدمج هذا الشعب فى الأمة الإنجليزية مدة تزيد عن سبعمئة عام فأبوا أن يصيروا إنجليزا وبقوا إيرلنديين بلسانهم وعقيدتهم ..

وفى فرنسا تأبى جماعة «البريتون» إلا أن يحافظوا على أصلهم وفى جنوب فرنسا توجد جماعة يقال لهم «الباشكتس» ظلوا محتفظين بقوميتهم تجاه القوط .. والعرب .. والفرنسيين .. والإسبان ، وفى سويسرا ثلاثة أقسام لكل قسم لغة .. الأمثلة كثيرة ولا تنتهى فى أوروبا وأقطارها وقد حصرت أمثلة فى أوروبا لأنها القدوة لهؤلاء الجاحدين فى العالم الإسلامى والعربى .. واليابان .. ٥ .. نعم اليابان !

إنها دولة شرقية مائة فى المائة فكيف نهضت وتقدمت وسبقت

الكثير من دول أوروبا والغرب ؟ .. هل تخلصت من قوميتها وعقيدتها ؟ .. هل انسلخت عن ماضيها وتراثها ؟ .. هذه الأمة الشرقية التي يضرب بها المثل في الرقى والتقدم لاتزال ملتزمة بعادات وتقاليد مضى عليها أكثر من ألفى سنة .. وامبراطورها هو ابن السماء والكاهن الأعظم ..

ملك إنجلترا وامبراطور الهند .. فيما مضى .. هو رئيس الكنيسة الانجليكانية (حسب الدستور) ومجالسه النيابية تناقش في قضايا لاهوتية خطيرة مثل قضية الحبز والخمر وهل يستحيلان بمجرد كلام القسيس إلى جسد المسيح ودمه كما تنص تعاليم الكنيسة فكيف لا يقال عن هذا الملك إنه رجعى وأن دولته العظمى متأخرة متقهقرة .. ؟

إنها أمثلة لا تحصى أيضا في الأمم الأوروبية .. الأمم التي تدعى العلمانية .. وفصل الدين عن الدولة ..
وهنا نقف وقفة ثانية ..

فإسرائيل دولة انبثقت من تعاليم التلمود والتوراة .. العبرانية تعود من جديد إلى الحياة .. المخترعات تحمل أسماء كانت قد اندثرت تحت أنقاض الزمن .. كل شئ في إسرائيل يتعطل يوم

السبب لأنه يوم مقدس .. الأحزاب الدينية تكيف الحياة في إسرائيل حسب التعاليم التي انقضت .. في كل فرقة من الجيش حاخام يقرض وجوده على قواد الفرق .. ومع ذلك فإن إسرائيل كما يردد القروء في العالم العربي دولة عصرية .. دولة عصرية رغم كونها عنصرية .. دولة تقدمية وكل شيء فيها ملون بأحبار الكهنة والحاخامات ..

ويقول المرحوم شكيب أرسلان :

يبقى بعد ذلك أن نتحدث عن الجامدين في العالم الإسلامي هؤلاء الذين سجدوا لأعداء المدنية الإسلامية الطريق لمحاربة هذه المدنية محتجين بأن التأخر الذي عليه العالم الإسلامي إنما هو ثمرة تعاليمه وقيمه ..

إن المسلم الجامد هو سبب الفقر في العالم الإسلامي لأنه جعل من الإسلام ديناً آخر فقط بينما الإسلام دين ودنيا .. والجامد هو الذي شن الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية بحجة أنها من علوم الكفار فحرم الإسلام ثمرات هذه العلوم وأورث أبناء الفقر ، والمسلم الجامد لا يدري أنه بهذا المشرب يسعى ليوار أمته وحطها عن الأهم الأخرى ولا يتنبه لشيء من المصائب التي جلبها على

قومه إهسالهم للعلوم الكونية حتى انتهوا إلى هذا الجهل الذى هم فيه وصاروا عمالا على أعدائهم الذين لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة. والحقيقة أن هؤلاء الجامدين هم الذين لا تأتلف عقائدهم مع المدنية وهم الذين يحولون دون الرقى العصرى .. والإسلام قبل غيره برئ من جمودهم وسداجتهم ..

إن الإسلام ثورة على القديم الفاسد ، وقطع كل العلائق مع غير الحقائق فكيف يكون الإسلام ملة الجمود وهو وحده دين التقدم والتطور ؟ ..

فالمسلم الجامد يحارب كل علم غير العلم الدينى الذى ألفه .. وينسى أن العلوم الطبيعية والرياضية والفلك والطب والهندسة والكيمياء وكل علم يغيد الاجتماع البشرى هى علوم دينية .. وكم جرى تدريس هذه العلوم فى الأزهر الشريف والزيتونة والقرويين وقرطبة .. وبغداد وسمرقند وغيرها عندما كان للإسلام دول ورجال أعظم .. وكم نبغ فى الإسلام من عظماء جسعوا بين الحكمة والشرعة ونظموا بين الحديث والرياضة وأن أكبر فيلسوف عربى اشتهر اسمه فى أوروبا هو القاضى «ابن رشد» وقد كان من أكابر الفقهاء والفلاسفة ؟ ..

لقد بلغت بغداد في عهد المنصور والرشيد والمأمون ما لم تبلغه
مدينة قبلها ولا بعدها إلى هذا العصر حيث كان أهلها يبلغون
مليونين ونصف مليون من السكان ..

كذلك كانت دمشق والقاهرة وحلب وسمرقند وأصفهان وحواضر
أخرى كثيرة من بلاد الإسلام ، كانت القبروان وفارس ومراكش في
العرب أعظم وأعلى من أن يطاولها مطاول أو يناظرها مناظر أو
أن يكائرها مكائر في ممالك أوروبا حتى القرون الأخيرة ..

وكانت قرطبة مدينة فذة في أوروبا لا يدانيها مدان .. وكان
عدد سكانها مليون ونصف المليون نسمة ، وكان فيها نحو
سبعمائة جامع عدا المسجد الأعظم وقد حدثني المهندس الإسباني
الذي كان يرافقني حين زيارتي لهذا المسجد أنه يتسع لحوالي
(٥٠ . ٠٠٠) خمسين ألف مصلى في الداخل و (٣٠ . ٠٠٠) ثلاثين
ألف مصلى في صحنه الخارجى ..

وحسبك أن غرناطة التي كانت حاضرة مملكة صغيرة في آخر
أمر المسلمين في الأندلس لم يكن في أوروبا في القرن الخامس
عشر المسيحي بلدة تضاهيها ولا تدانيها .. وكان فيها عندما
سقطت في أيدي الإسبان نصف مليون نسمة ولم يكن في ذلك

الوقت في أية عاصمة أوروبية نصف هذا العدد ..
هكذا كان المسلمون سادة الدنيا ومفخريها .. كانوا كذلك حين
كان الإسلام فعالاً مؤثراً في الحياة والحكم .. حين كان الإسلام هو
المهيمن على القلوب والفكر حين كان الإسلام هو المصدر الأول
والأخير للتشريع والنظام ..

إن القائلين بأن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين هم أول الناس
علماً بضخامة أكذوبتهم وإذا صدر هذا الكذب والافتراء من أمم
تدين بالنصرانية فإنما يعدون بهذا الكذب إلى ستر خبيثتهم
وأحقادهم ..

لقد كانت اليونان - قبل النصرانية - أمة من أرقى أمم الأرض
وكان الإسكندر الأكبر ابناً لهذه الأمة التي تصدرت بثقافتها
شعوب العالم في فترة من الزمن ، ولم تزل اليونان في هذه المكانة
حتى دخلت في النصرانية فبدأت تتدلى وتنحدر حتى أصبحت
ولاية تركية .. !!

وكانت روما دولة عظمى لا تذكر بجوارها دولة .. ولم تزل
كذلك حتى دخلت في النصرانية على عهد قسطنطين ومنذ ذلك
الوقت بدأت تنحدر وتنحط حتى تلاشى سلطانها شرقاً وغرباً ..

وأصبحت أقطارها ولايات إسلامية !!..
 وفي نظر الكثير من المؤرخين الأوروبيين أن الكنيسة هي العقبة
 الكؤود في طريق كل نهضة ، وأنها سبب الانحطاط والتأخر ،
 وأنها الوحيدة التي عرقلت عجلة الحضارة في أوروبا وأن عصر
 النهضة لم يبدأ إلا بالتخلص من الكنيسة ومفاهيمها البالية
 العتيقة .. وقد قال « فولتير » لرئيس وزراء النمسا البرنس
 « سيندروف » حين زاره وسأله عن حركة الإصلاح المسيحية التي
 قام بها « لوثر » و « كلفن » قال « فولتير » :
 كلاهما لا يصلح حذاء لمحمد !!!..

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٠١ / ٢٠٠٠

دار النشر للطباعة والإستلامية

٢ - شارع فلسطين شبرا القمامة

الرقم البريدي - ١١٢٣١

